الفصل الأول: الفكرة والأسباب والدوافع والأهداف!!

الحمد لله رب العالمين، الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، ومن العمى إلى الهدى ومن الضلال إلى الحق المبين، نحمده حمداً كثيراً طيباً سبحانه وتعالى القائل عز من قائل كريم ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ (المائدة: ٣).

والقائل عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٨، ٩).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ (النصر: ٢).

ووجه إلى سائر مخلوقاته خطابه الكريم فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ (النساء: ١٧٤، ١٧٥).

وبيّن في أوضح بلاغ فقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦).

وأوصى عز وجل فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء: ١٧٠).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إلى الناس أجمعين الثقلين الإنس والجن خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد المجاهدين وإمام المؤمنين الموحدين الذي وجهه ربه عز وجل بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦).

وقوله عز من قائل كريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف: ١٥٨).

سمعه نفر من الجن أنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين فقالوا كما بيّن الله عز وجل: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٣٠، ٣١)، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ (الجن: ١، ٢) فصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، ،

فلله الحمد والمنة والفضل الذي أكرمني ووفقني لإنجاز الجزء الثاني والثالث والرابع من هذه السلسلة «والله متم نوره» وقد بينت في خطبة الكتاب الجزء الأول الفكرة والأهداف والدوافع والأسباب بتفصيل كبير وكذا في كلمتي هذه وبين يَدَيْ هذا الجزء الكثير عن هذه الفكرة وهذا الجهد المتواضع الذي ابتغي به

رضى ووجه الله عز وجل ومرافقة النبي محمد ﷺ وبقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في مستقر رحمة ربي إنه الرحمن الرحيم، ولكني رأيت أن أعبّر مرة أخرى قبل بداية هذا الجزء الذي يصدر بإذن الله في ظل ظروف متنوعة وبالغة الجدية إذ تتوافق مع مرور عام على أحداث ١١ سبتمبر التاريخية وهي ظروف تشير ولله الفضل والمنة أن العالم يسير باتجاه الإسلام بقدر من الله لأن هذا هو الحق والبيان الكريم المحفوظ كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولن يفلح أي إجراء أو تهديد أو مكر سيئ في إطفاء نوره وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، ولن يفلح أي تحد للقوة مهما بلغت وعظمت أن توقف انتشار دين الله في الدنيا بأسرها، وأن ما صلحت به الأمة في أولها ستصلح به في أخرها إن شاء الله. ويدخل الناس في دين الإسلام وإلى ما شاء الله تعالى بالجهاد بكل أشكاله.

obeikandl.com

المعجزة المتجددة سر عظمة هذا الدين!!

والأكثر عجباً وعظمة أن الإقبال على دين الإسلام في عصرنا أيضاً يزداد بدون دوله نموذجيه.. وبدون جيش موّحد ولا سيف ولا عصا ولا إرغام ولا إكراه.. فالبشرية التي تستخدم أدوات العلم والمعرفة التي خلقها الله لها وأكرمها بها تشكر الله وتسلم له كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

إن العيون والآذان والقلوب المفتوحة تستطيع بإذن الله أن تستقبل استقبالاً واضحاً غير مشوّش دين الحق وتستوعبه وتتبعه وتبتعد عن الباطل وتتجنبه بقدرة الله، وكل واحد من الناس سواء كان في أدنى سلم الطبقات الاجتماعية أو كان في أعلاها وأرقاها يجد في هذا الدين ما يناسب مستواه فيعتنقه، فالبدوي في المراعي والعالم في المختبرات سوف يجد مبتغاه ويتزود بما يكفيه، البعض تكفيه آية أو نصف آية من القرآن الكريم فتدله على الإسلام والبعض يكفيه حديث أو نصف حديث من أحاديث النبي ﷺ ليستدل على حقيقة الإسلام ويدخله إلى قلبه ويقبل حجه الله عليه والبعض تقوده أحداث وأسباب منها الشقاء ومنها المرض ومنها السلوك الجيد والطيب في كل نواحي الحياة من الكلمة الطيبة والقدوة الحسنة والإيمان الصادق والمعروف، لقد دخل البعض الإسلام عن طريق التفكير في مخلوقات الله في كتاب الله المفتوح هذا الكون ونرى ونلمس هذا من خلال فصول سلسلة «والله متم نوره» الداخلون في دين الله فرادى وأفواجاً نساء ورجالاً شيباً وشباب أميون وعلماء أطباء ومهندسين وأعجب من ذلك وأعظمه في عصرنا الراهن إسلام قمم الكنيسة النصرانية وتحولهم إلى الإسلام بفضل الله كما سنرى بإذن الله.

وستظل هذه المعجزة المتجددة وسنظل نرى وسيرى غيرنا بعدنا أمثال هؤلاء المقبلين على الإسلام وهم بالعشرات والمئات والآلاف في مشارق الأرض ومغاربها يجسدون سر عظمة هذا الدين الصالح للإنسان في أي وطن.. لكل إنسان في هذا الكون.. ولننظر إلى هذه الحقيقة وكل الحقائق المتصلة بها من خلال عرض عدد من النماذج الحية لأناس أصبحوا إخوانا لنا وأشد تمسكاً بالإسلام منا ولا نزكي على الله أحداً وقد أخبرنا الرسول ﷺ بهذا التمسك الخيري فقال ﷺ: «**الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**» ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (فصلت: ٣٣، ٣٤).

إن عدداً من الذين دخلوا الإسلام واعتنقوه نسمع منهم العجب العجاب عن رغبتهم وحبهم لهذا الدين الذي جذبتهم إليه المعجزة المتجددة فدخلوا فيه، وإن ما ذكرناه في الأجزاء السابقة وما سنذكره في الفصول اللاحقة لم تخف على أحد بل إن عدداً من الصحف والمجلات والعلماء والمثقفين لم يدخل بعضهم في الإسلام ولكنهم أنصفوه والبعض منهم اعتنقوه بعد دراستهم له بعمق وعملوا على إبلاغه وتطبيقه وقد تحوّل العديد منهم بعد دخولهم في الإسلام إلى نور يضيء طريق الناس في بلدانهم، وسنرى ذلك في سياق فصول هذه السلسلة من خلال أحاديث وتجارب أبناء هذه البلدان أنفسهم الذين عرفوا الباطل فتركوه وعرفوا الحق فاتبعوه نسأل الله لنا ولهم الثبات آمين..

نموذج عجيب في عصرنا!!

وكما قدمنا في الجزء الأول الأفواج الداخلة في دين الله أفواجا وفي الجزء الثاني مظاهر انتشار الإسلام في روسيا ومظاهر الصحوة الإسلامية في آسيا الوسطى وفي هذا الجزء وغيره نشير إلى بعض مظاهر الانتشار السريع للإسلام والوسائل التجديدية المعاصرة لنشر الإسلام في العصر الحديث ودخول قمم الكنيسة وقمم السياسة رؤساء جمهوريات وقمم في الصحافة والديبلوماسية ورجال الأعمال وقمم في الطب والهندسة والجيولوجيا والفلك ومختلف العلوم التجريبية في الإسلام وقوافل العلماء من المختبرات إلى المحراب فسجد لله العالم الشرعي والكوني فسنقدم الآن بعون الله تعالى نماذج أخرى من انتشار الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية وهو الحدث الذي زلزل كيان هذا القرن الجديد وشهد أضخم حرب صليبية جديدة ضد الإسلام بهدف القضاء عليه والحد منه ولكن ظل عملاقاً تكفل الله بحفظه وابتلى عباده ليمتحن إخلاصهم وصدقهم في خدمة هذا الدين وهو الغني عن ذلك فهو القادر جل وعلا أن يقول للشيء كن فيكون وكان خصوم الإسلام يتوقعون انحساره فإذا بهم يجدونه قد زاد انتشاره في عقر دارهم ولله الحكمة والحجة البالغة يأبى الله إلا ان يتم نوره.. وقد قدمت في الجزء الثالث نماذج غير عادية من المجتمعات.. نماذج خاصة من ظاهرة ملفتة للنظر وهي دخول قمم الكنيسة «القساوسة والرهبان رجالاً ونساءً في دين الله الحق دين الإسلام الحنيف». لنرى عجباً لقد أسلم أناس كثير.. وهؤلاء الذين هداهم الله إلى اتباع دينه الحق هم رسل الإسلام إلى أهلهم وأقوامهم ومجتمعاتهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهناك نماذج أبلت بلاء حسناً وأتقنت عملها الدعوي العظيم

وتهيأت لها سبل وإمكانيات، فستواصل بإذن الله دورها في تهيئة مجتمعاتها لتقبل الإسلام والعمل به.

لقد مضيت في تجهيز الجزء الرابع عن مظاهر وشواهد انتشار الإسلام في العالم فجاءت أحداث ١١ سبتمبر واعتقد بعض الناس أن هذه الحملة الصليبية ستوقف تنامي الإسلام وتحد من انتشاره وبلغ اليأس والخذلان لدى البعض مبلغاً عظيماً وقال البعض لي بسخرية واستهزاء بل وباحتقار ها هي الأحداث ستوقف نمو الإسلام وتحد من انتشاره على الأقل قرناً كاملاً ويأبى الله إلا أن يتم نوره فإذا بالناس يدخلون في دين الله أفواجا دون توقف كما سنرى في سياق هذا الجزء والحمد لله بل أن البعض كان يسخر من تفاؤلي وثقتي العظيمة بنصر الله ويقول إذا دخل بعض الناس الإسلام فليس ذلك شيء ذو أهمية مع افتتان الناس بقدرة الحلف الإرهابي العالمي بقيادة الصليبيين الأمريكان وتحت توجيه اليهود وكنت أقول بكل ثقة بالله أن النبي ﷺ علمنا «**لأن يهدي بك الله امرؤ واحدا خير لك من الدنيا وما فيها**» وأن دخول واحد في الإسلام «وقد يكون رجل بأمة ورجال بأمم» عندي أعظم من أمريكا وما فيها ومن معها بل أعظم من الدنيا وما فيها كما ذكر حبيبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا ينطق عن الهوى.

وكما سبق لي أن ذكرت لقد راودتني فكرة تخصيص جزء منفرد عن أفواج القساوسة والرهبان الداخلة في دين الله أفواجا ووفقني الله عز وجل لإنجازها في الجزء الثالث الذي لقي صعوبة شديدة في الظهور بسبب ما تعرض له من أذى من قبل الموساد واتباعه ولكن أراد الله ان يخرج إلى النور ولو بذلك الشكل المتواضع رغم كيد الحساد والموساد ولله الفضل والمنة واليوم يتواصل الجزء الرابع الذي عملت من أجله منذ وقت طويل جداً يعود إلى سنوات مضت.. مثله مثل كل كتبي

«المعجزة المتجددة» وأثناء رحلاتي المتكررة إلى بلاد غير المسلمين، حيث أني في كل مرة كنت التمس انتشار الإسلام وأرى تجديد وفتح مساجد جديدة ومراكز إسلامية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وإقامة جمعيات خيرية إسلامية ومؤسسات إسلامية عالمية، وإنشاء معاهد ومدارس وكليات للإسلام في كثير من بلدان العالم.. وفي كل زيارة كنت ألحظ بسرور وإيمان بالغ ارتفاع مآذن المساجد في بلدان لم تكن ترتفع فيها من قبل وقيام جامعات إسلامية ومراكز للتراث والتاريخ الإسلامي، وكنت في كل مرة أزور فيها بلاداً من غير بلاد المسلمين أو أؤدي العمرة في رحاب بيت الله الحرام أو زيارة مسجد المصطفى ﷺ أسمع وألتقي بأناس جدد، أو أسمع عنهم من رواة ثقاة وكلما كانت تقع عيني على صحيفة أو مجلة أو كتاب فيها خبر أو خبران أو ثلاثة أو أكثر عن شيء من هذا يشير إلى دخول امرئ ذكر أم أنثى الإسلام أو عودة تائب آيب من الضلال إلى دين الحق أو تحقق مظهر من مظاهر انتشار الإسلام وبقائه وحيويته وديمومته في أي بلد من البلدان كنت أحتفظ بهذا الخبر وهذه القصاصة أو الكتاب حتى أحقق فكرتي بطرح هذه السلسلة المعبرة عن المعجزة المتجددة معجزة الداخلين في دين الله أفواجاً إلى يومنا هذا والعائدين إلى الإسلام مثل ما حدث في روسيا الاتحادية وآسيا الوسطى وغيرها وستستمر إلى أن ينفذ حكم الله في هذه الدنيا.

ومن شدة تعلقي بهذا الموضوع كنت أتحدث فيه كثيراً مع من أقابلهم من الناس وفي كتاباتي ومحاضراتي والندوات والمجالس التي أدعى إليها وأشرت إليها كثيراً في كتبي التي صدرت تحمل هموم أمتي الإسلامية وفي الدعوة الإسلامية. رغم الأذى والسخرية من الموساد والحساد ومن بعض الجهلة والمنافقين والمفتونين بالشرق أو الغرب ولكني بفضل الله مضيت ولازلت قدما أواصل العمل بكل ما

أعطاني الله من همة ونشاط في متابعة وتوثيق كثير من الأمور ذات الصلة بهذا العمل الذي ابتغي به وجه الله تعالى وخدمة الأجيال والتاريخ الإسلامي المشرق.

وفي الحقيقة أني كنت ولا زلت مهموماً بما تعانيه أمتي الإسلامية من مشكلات وضعها أعداؤها في طريق تقدمها، وكنت كلما حضرت مكاناً من الأماكن التي أشرت إليها ألمس هذه الهموم الثقيلة التي أريد لها أن تحقق هدفاً من أهداف اليهود والنصارى وهو إيجاد حالة واسعة من اليأس والإحباط بين صفوف المسلمين وبلغ من شدة مكرهم أنهم كانوا عن طريق سيطرتهم المباشرة وغير المباشرة على أجهزة الإعلام والصحافة وأدوات الفنون يعملون على تجاهل أخبار انتشار الإسلام ولا يبرزون أي عمل أو حدث أو منجز من شأنه إعلاء دين الإسلام وبعث الروح في الأمة الإسلامية فحتى بعض هذه الأخبار كانت تنشر في زاوية صغيرة أو صفحة داخلية حتى لا يتأثر بها المسلمون فتزيدهم حماساً ونشاطاً وهدى أو غير المسلمين فيهتدون بها إلى طريق دخول الإسلام.

وعلى الرغم من الحالة السيئة التي وصلت إليها الأمة الإسلامية وأثر بدوره على البشرية كلها التي أصبحت تتخبط في دياجير مظلمة غافلة عن مصيرها النهائي ذلك أن الأمة الإسلامية مكلفة شرعاً بإيصال هذا الدين العظيم كما فعلت منذ أول يوم للوحي الإلهي.

وكلما التفت إلى قول الرحمن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً﴾ وكلما التفت متدبراً قوله جل وعلا ووعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وإلى بشائر الرحمن في قوله جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾.

مظاهر جديدة وكان وعد ربي حقا!!

والتفت إلى مظاهر بقاء الإسلام ودخوله بلدانا لم يكن قد دخلها من قبل ودخول المسلمين الجدد أيقنت بعظمة وجلال الله وقدرته وأنه لا يخلف الميعاد ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ وزاد من تقدمي في هذا البحث والتجميع والتقديم للناس أني كنت أشعر حقاً بالأمل وأني نجحت في غرس وإضاءة شعاع نور عندما أحدّث الناس عن هذه البشائر والفتوحات وأقدم أمثلة ونماذج من الأفواج التي دخلت دين الله في السنين الأخيرة في القرن العشرين سواء في القرى أو القبائل أو المدن أو إخراج القساوسة والأحبار والعلماء في مختلف الميادين علماء الطب والهندسة والفلك والجيولوجيا والجنرالات وغيرهم أو النماذج المتساوية في دين الله من خلقه من العمال والمزارعين والزبالين وغيرهم من فئات المجتمع في العالم، وأسباب الهداية تكمن في آية أو حديث أو حدث أو قدوة حسنة أو مثال حي للعدالة الإسلامية وحكمة هذا الدين وحقائقه الصحيحة وتتم أحياناً بقدر الله وعلى يد عالم أو داعية مسلم بلغ عن الرسول ﷺ آية من القرآن الكريم الذي أوحي إليه أو حديث من الأحاديث أو سيرة معينة لمسلم آخذ بالمنهج الحق والصحيح في مثل ما احتوته هذه السلسلة من قصص عجيبة.

واقعنا بين الفتن والمبشرات!!

وهناك شيء آخر لاحظته كما لاحظه غيري من الأخوة العلماء والدعاة عن تكرار الحديث عن فتن آخر الزمان وظواهرها وهذا مستحب ولكنه أخذ طابعاً في الفترات الأخيرة بشكل يوحي مجمله للسامع والقارئ أن الكفر في إقبال والإسلام في انحسار وإدبار مما يخيل وكأن الشر ينتصر والخير ينهزم ويتألم أهل الخير لأن أهل المنكر غالبون وأهل المعروف ودعاته مخذولون وربما يؤدي هذا إلى معنى حزين يائس وإحباط معنوي متعدد المضاعفات يوحي بأن لا أمل بإحداث التغيير ولا رجاء في إصلاح وأن الأمة الإسلامية في هذه اللحظات التاريخية أواخر القرن ال ٢٠ الميلادي وبداية القرن ال ٢١ الميلادي وفي أعقاب أحداث ١١ سبتمبر والهجمة الصليبية اللاحقة للحلف الإرهابي العالمي الذي يوجهه ويوقد ناره اليهود وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين في أفغانستان (خراسان) وفلسطين والعراق والشيشان وجنوب أمان الله التي ينطق عاصمتها البعض مع العجم ما نيلا وهي أمان الله (الفلبين) والقوقاز والمعطاءة التي ينطقها البعض مع العجم (المأتأاه) وكشمير وباكستان والهند واليمن وغيرها من بقاع العالم وربما يزيد عند البعض اليأس وينتابه شعور بأن الأمة الإسلامية تنتقل من سيئ إلى أسوأ ومن الأسوأ إلى الأشد سوءاً فما من يوم يمضي إلا الذي بعده شر منه حتى تقوم الساعة وهذا المعنى الذي يزداد الحديث عنه مع توافق بعض الأحوال والأحداث في سنن الله في خلقه يوجد فهماً خاطئاً وحساباً سلبياً خطيراً ونوعاً من القتامة في التفكير والرؤية وسوء فهم لما ورد في بعض النصوص حول فتن آخر الزمان التي أشرنا إلى أكثر الخطب والأحاديث حولها من قبل بعض الأخوة بنية حسنة في التنبيه والتحذير منها ولكن بشكل جزئي وقاصر مع إغفال

المبشرات الكثيرة الناصعة والقاطعة بأن المستقبل للإسلام وأن هذا الدين سيظهره الله على كل الأديان ولو كره المشركون ولو كره الكافرون[١].

يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٨، ٩).

واليوم بعد أحداث ١١ سبتمبر التي تعتبر بحق حدث القرن الحالي لاحظت منذ اللحظة الأولى للحدث تركز الحديث منذ ذلك الحين ١١ سبتمبر ٢٠٠١م على المضاعفات والآثار السلبية والتداعيات المترتبة على الساحة الإسلامية والعربية خاصة وعلى النطاق العالمي بشكل عام وتجاهل كبير للآثار الإيجابية فالحقيقة أنه بقدر ما خلف الحدث من تداعيات على الساحة الإسلامية فانه أيضاً ولّد الكثير من التناميات كما يحلو للأستاذ الفاضل د. فتحي يكن حفظه الله[٢] أن يصفها فكما تكون المحنة منحة أحياناً يكون فيما نكره أحياناً مدخلاً إلى ما نحب وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦) وعين الحكمة ألا تحجب ضخامة الحدث وردود فعله السريعة والمريعة رؤية الأبعاد الأخرى من زوايا متعددة فالقراءة السريعة لأية حدث كبير غالباً ما تكون حالة من حالات ردة الفعل العفوية والسطحية أو المحكومة بظروف مكانية وزمانية وشخصية محدودة وهي بالتالي ليست القراءة المتأنية الهادئة العميقة الشاملة المطلوبة؟ وقراءة الحدث واستكشاف سلبياته وإيجابياته وتداعياته وتناميات واستكشاف كل الأبعاد التي خلفتها وتخلفها وستخلفها أحداث ١١ سبتمبر إضافة الى توظيف ما حدث في

---

(١) انظر بحث البشائر والمبشرات للدكتور الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله.

(٢) انظر د. فتحي يكن المجتمع الكويتية عدد ١٤٩١ في ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٢هـ الموافق ٩ مارس ٢٠٠٢م.

خدمة الاسلام والمسلمين فمن الطبيعي أن يؤدي حدث القرن الى تداعيات قد يشهدها القرن كله ليس أولها الحملة على أفغانستان ولن تكون آخرها تلك التي يمكن أن يشهدها العراق أو الصومال أو إيران أو سوريا أو لبنان أو أي بلد عربي آخر فالمعركة بين الاسلام وأعداءه فتحت الأبواب على مصراعيها وقد لا تغلق أبوابها أبداً وهي شكل من أشكال الصراع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة وهذه سنة من السنن الآلهية ولن تجد لسنة الله تبديلا وهي ترجمة عملية لسنة التدافع ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّه النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ (الحج: ٤٠).

وقد اجتهدت بكل تواضع في رصد ما استطعت إليه سبيلا من الظواهر الايجابية التي تثبت لنا البشارة الربانية والله لايخلف الميعاد فالحملة الإرهابية العالمية التي بدأت شعارها ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّه بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ولكن خاتمة الاية ذاتها تؤكد لنا بما لايدع مجالاً للشك ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ وعندما نتحدث عن هذه المبشرات ونشيعها بين المسلمين حتى نبعث فيهم الأمل المحرك للعزائم ونهزم اليأس القاتل لنهضة النفوس نتحدث عنها بواقعية صادقة بدون مبالغة أو تضخيم أو أوهام وأحلام لا طائل فيها مع استحباب الأماني الطيبة والرغبة الصادقة في الخير للناس جميعاً، والخير هو ما ارتضاه الله لعباده في هذه الحياة الدنيا والآخرة.

فمن خلال المحنة وعظيم الفتنة كان رسول الله ﷺ ينظر إلى المستقبل بأمل كبير وفرج قريب تتغير فيه الأحوال ويفوز بعظيم الأجر وجزيل المثوبة في العاجلة والآخرة كان سيدي رسول الله ﷺ يمر بآل ياسر يعذبون بأيدي المشركين ولا يملك لهم نفعاً ولا يستطيع عنهم دفعاً فلا يزيد على أن يقول صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة وفي طريق هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة يطارده المشركون ليظفروا بالجائزة التي أعدتها قريش لمن يأتي بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً وعندما يئس سراقة من أدراك

غايته في الوصول إلى الرسول ﷺ نادى عليه بالأمان وأخبره خبر قريش فقال له الرسول ﷺ كيف بك ياسراقة وسواري كسرى وكتب له كتاباً بذلك ومرت الأيام حتى عهد الخليفة الراشد عمر ﷺ وجاءت غنائم الفرس فإذا بالنداء عليه وسط مسجد رسول الله ﷺ فألبسه عمر ﷺ سواري كسرى وفاء لوعد الله ورسوله ﷺ وكذلك في غزوة الأحزاب والرسول ﷺ يحفر الخندق ليصد هجوم الأحزاب من قبائل الكفر قريش وغطفان التي جاءت لتستأصل شأفة الإسلام في المدينة وفي أثناء الحفر يبشر الرسول ﷺ أصحابه الكرام بفتح بلاد الشام وفارس واليمن.

فقد روى النسائي في مسنده عن البراء قال لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ فجاء فأخذ المعوّل فقال: «**بسم الله** ثم ضرب ضربة وقال **الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة** ثم ضرب الثانية فقطع أخر فقال **الله أكبر أعطيت فارس والله إني أبصر قصور المدائن البيض الآن** ثم ضرب الثالثة فقال **بسم الله** فقطع بقية الحجر فقال **الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن إني أبصر أبواب صنعاء من مكاني**».

وقد تحققت البشائر الربانية للنبي ﷺ وقد قامت دولة الإسلام وانتشرت في الخافقين وفتحت بلاد فارس والشام واليمن والأندلس والقوقاز رغم تكالب الكفر عليها وضعف إمكانياتها المادية ولكن الله الذي أنزل الوحي أراد ان يعم نوره ويضيء القلوب والعقول بالحق وتسعد البشرية بدين الله بعد ان شقيت بالجاهلية واليوم بعد أن ضعف المسلمون وانحسر ظل الإسلام عن كثير من ديار الإسلام وتسلطت الأنظمة الطاغية على الشعوب المسلمة فشقيت بها أيما شقاء فحرمت لذة الأمن والأمان وضعف الإيمان فأصبح المسلمون لا شأن لهم ولاوزن

فيقضي فيهم وهم غائبون وإذا حضروا لا يقدمون ولا يؤخرون في القرار العالمي أراد الله سبحانه وتعالى لعباده ان يخرجوا من الظلمات إلى النور فيسيروا في طريق العزة والإباء ويصعدوا سلم المجد فيرفع لهم راية الجهاد ويرتقوا ذروة سنام الإسلام ويشرق للمسلمين فجر جديد ليعيشوا فيه والإسلام حي قوي بالإقبال على الله والرغبة فيما عنده والإعراض عن الدنيا والارتفاع عن سفاسفها بذلا للنفس والنفيس وصبرا على البلاء ورضى بالقضاء وتضرعا وتذللا لله الكبير المتعال فكان الجهاد في أفغانستان والاستشهاد في فلسطين بداية الصعود إلى المجد بل إلى قمة المجد إذ لفت انتباه البشرية بأسرها إلى تاريخ أمة الإسلام وان لها ماضيا مجيدا ستعود اليه عما قريب وأعاد ذلك للمسلمين الثقة بدينهم وان لمنهج الإسلام دورا عظيما في حياة الإنسانية لابد ان يقوم به المسلمون حتى يتحقق لهم النصر والتمكين فتقوم دولة الإسلام الراشدة تملأ الأرض أمناً وإيماناً بعد أن ملئت خوفاً وكفراً بإذن الله.

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: «كثير من الأمم لم تستيقظ إلا على طرقات الأعداء وضرباتهم فبعض الناس يكونون في غفلة شديدة جدا ولا يستيقظون إلا على الضرب المبرح والأزمات والكوارث وفي كثير من الأحيان تكون الأزمات سببا لميلاد جديد للشعوب ولميلاد جديد للأمة وليست كل المحن ضارة بعض المحن تتحوّل إلى منح لأنها تعيد الناس إلى أصولهم والى ما يجب عليهم ان يفعلوه وظني أن هذه المحن المتوالية تحفز المسلمين إلى أن يتمسكوا بدينهم وأن يجمعوا كلمتهم وأن يصححوا الخلل الواقع في حياتهم»[1].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر نص المقابلة التي أجرتها صحيفة عكاظ مع الشيخ عبد المجيد الزنداني في ٥ شوال ١٤٢٣هـ الموافق ٩ ديسمبر ٢٠٠٢م.

وفي أثناء إجابة د. الحبيب «سفر الحوالي» حفظه الله على بعض الأسئلة حول مستقبل الصراع قال فضيلته :.

«إن الله تعالى قد علم حاجة هذه الأمة إلى اليقين والإيمان فجاء بهذا الحادث ١١ سبتمبر ليكون آية من عنده على أن ﴿الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ وأنه تعالى قادر على أن يفعل بكل عدو للإسلام ما فعل ببني النضير الذين ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ لقد انقلبت كل الخطط والمعايير والمعادلات والحسابات وأصبحت الترسانة الهائلة من الأسلحة التقليدي منها والنووي و.. مما لا نعلم أشبه بأكوام السيارات القديمة أو الخردة لقد تم تحييدها في هذا النوع الجديد من الحرب الذي لا يعدوا أن يكون مبارزة بين قوى خارقة غير مرئية يملك المسلمون منها ما لانهاية له وبين القوى المادية التي يكتظ بها الغرب ولكنها هامدة خاوية لا روح فيها فهي كالعملاق الضخم الذي يمكن لفيروسات قاتله أن تنخر كبده وهو يستعرض قوته في مصارعة إنسان أنهكه المرض وأجهده الجوع.

إن هذا الحادث أكبر من كونه هجوماً مباغتاً على قوة عظمى زلزل أركانها وأفقدها صوابها إنه قلب لكل المعادلات ونسف لكل الحسابات التي بنى عليها الغرب الصليبي حضارته وسيطرته وأسباب قوته منذ ٥٠٠ سنة وأكثر أي منذ أن أخرج المسلمون من الأندلس وشرع في حملاته الصليبية فكل تلك المعادلات والحسابات والأسباب تقوم على التفوق العسكري والحضاري على الخصم في كل ميدان وهو التفوق الذي بلغ ذروته في المرحلة الأخيرة حيث لم يعد في إمكان العالم الإسلامي التفكير في مقاومة هذه العدو الذي تأهل بالتقنية المتطورة ليصنع أشد الأسلحة فتكاً ودماراً وتوحّد ليصبح معسكراً واحداً من حدود روسيا مع

اليابان شرقاً إلى أقصى الجزر التابعة لأمريكا غرباً[١] وقد استنفذ آلاف البلايين ليملك قوى جهنمية ومواقع استراتيجية وثروات طبيعية لا يقبل ان ينافسه أحد في شيء منها هذا والعالم الإسلامي يعيش عقدة النقص والتخلف فأنى له بجيوش كهذه الجيوش وموارد وقوى كتلك القوى والموارد وهو فقير متخلف في أهم أسباب القوة المادية وهي التقنية وكيف يمكنه أن ينافس في شيء ما من الميادين والعدو متربص به يحصى أنفاسه ويمتص دمه إنها حال مؤلمة لا تبعث إلا على الإحباط واليأس وربما أنتجت شكاً في وعد الله وسوء ظن به بل تكذيباً لما جاء في كتابه عياذا بالله ولكن هذا الحادث جاء ليقول للمسلمين والعالم بوضوح:

إن القلعة الحصينة التي بناها الغرب في قرن يمكن اختراقها بالحمام الزاجل! وأن الجيوش الغفيرة يمكن هزيمتها بمئات من طالبي الجنة! وأن التقنية مهما تطورت لا يمكن أن تقاوم الروح المعنوية للمؤمنين. جاء الحدث ١١ سبتمبر وأمريكا تعمل على قدم وساق لبناء منظومة صواريخ الاستراتيجي وأقمارها الصناعية ترصد ما فوق الأرض بل ما تحتها من الكنوز ولكن روحها خاوية من الإيمان بالله تعالى ومشبعة بالكبر والغطرسة فاستطاعت ثلة قليلة العدد من أبناء العالم المتخلف أن تدوس أنفها وتمرغه بالتراب على مرأى ومسمع من العالم المذهول المصعوق سبحان الله أي آية في هذا وأي عبرة للمؤمنين ولو عقلت أمريكا هذه الآية لسارعت بطلب المغفرة من الله ثم من المسلمين وبادرت بالتكفير عن خطاياها وجرائمها الكبرى ومواقفها المشينة

---

(١) أيضاً وقف ضابط الاستخبارات السابق والحالي «بوتين» يقول للاتحاد الأوربي ويقول للأرثوذكس: «إن الأصولية الإسلامية هي الخطر الوحيد الذي يهدد العالم المتحضر وهي الخطر الوحيد الذي يهدد نظام السلم و الأمن العالميين والأصوليون لهم نفوذ ويسعون إلى إعادة الخلافة الإسلامية وإقامة دولة موحدة تمتد من الفلبين إلى كوسوفو وينطلقون من أفغانستان التي تعتبر قاعدة لتحركاتهم فإذا لم ينهض العالم لمواجهتها فإنها ستحقق أهدافها وروسيا تحتاج «إلى دعم مالي» لمكافحة الأصولية في شمال القوقاز».

معهم ولكنها - لحكمة عظيمة قدرها الله - ركبت رأسها وشرعت في عدوان من شأنه ان يجعل الملايين في العالم الإسلامي تتحوّل من حياة المتعة الرخيصة إلى طلب الشهادة على نحو ما فعلت تلك الثلة وأكثر وربما بوسائل أخطر.

إن المواجهة بين أمريكا والعالم الإسلامي ستكون عنيفة للغاية ومدمرة وسوف تحدث شروخا هائلة في الوضع القائم ما لم تتراجع أمريكا عن خطتها الغاشمة وعدوانها المستمر وهو مالا يظن بها ـ على الأقل ـ ومن هنا نرجوا أن يكون هذا استدراجاً لها من الله مع كونه ابتلاء وامتحاناً للمسلمين. والفرصة أمامنا كبيرة جداً لاستثمار الحدث في تقويم المسيرة واستكمال عدة النصر والتمكين يجب ان يكون أي عدوان أمريكي قادم مصدر تفاؤل ورجاء لا يأس وخوف. ومن باب التذكير بسنة الله كواجب والتدارك الممكن لأن المؤمن مأمور بأن يدفع القدر بالقدر لا أن يعجز أو يتواكل.

قدم د. سفر بعض الإشارات الإيجابية من آثار الحدث لتعميم الفائدة منها :

- عدالة القضية فالثبات على الموقف العادل نصر بذاته والجندي المسلم يقاتل عن دينه وأهله من هاجم بلاده ظلماً وعدوانا والعالم كله يشهد أن أمريكا تسرعت في الاتهام وبادرت إلى العدوان قبل تقديم الأدلة وقد صرح بذلك كثير من حلفائها بل من عقلائها المنصفين وهذا يبشر بانتقام الله من الظالم ولو بعد حين ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾ (الكهف: ٥٩).

- البغي والغرور اللذان اتصف بهما العدو مستكبراً بقوته متناسياً قدرة الله عليه مثلما أخبر الله تعالى عن عاد الأولى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥)، ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً﴾ (القصص: ٧٨).

- كشف المنافقين ومرضى القلوب عبدة الدراهم والدينار والوظيفة والجاه عند الخلق وهذا خير عظيم كما حدث يوم أحد ويوم الأحزاب وما بقي إلا معالجة السماعين لهم من العوام ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

- اتعاظ كثير من الدوّل المجاورة بما جرى في الأزمات السابقة ورفضها أو تحفظها هذه المرة وهذه خطوة جيدة في الطريق الصحيح ودليل على أن إنكار المنكر يثمر ولو بعد حين وأن الشعوب بيدها بفضل الله الكثير.

- وضوح السبيل ونمو الوعي وذلك من خلال إجماع الأمة على الولاء للمسلمين والبراء من الكافرين وإدراكهم لمخططات العدو الماكر وهو ما كان مشوشاً في أزمات سابقة ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢) وقد أدرك العدو ذلك فأخذ زعماؤه يعتذرون وهم كارهون عن فلتات ألسنتهم بما يضمرون.

- افتضاح العدو وظهور زيف شعاراته عن الحرية وحقوق الإنسان والإنسانية والحضارة وحق الشعوب في تقرير المصير.. الخ حتى في تعامله مع مواطنيه المسلمين فالآن ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ١١٨).

- إيقاف زحف العولمة - ولو إلى حين - وهذه فرصة لالتقاط الأنفاس والاستعداد لمواجهتها بخطط مدروسة وبرامج محكمة وقد يؤدي ذلك إلى تركيز الاهتمام على التعامل بين الدوّل الإسلامية فتكون خطوة ثم تعقبها خطوات بإذن الله.

- تجفيف منابع الفساد ومن أهمها السياحة في الدول الغربية فالمعاملة غير الإنسانية للمسافرين والمقيمين وإن أصابت بعض الصالحين سينفع بها الله كثيراً من

الطالحين الذين ينفقون سنوياً عشرات البلايين في أوكار الفساد ومباءات الفجور هناك فالسعوديون وحدهم أنفقوا في سنة ١٤٢٠هـ ما بلغ مائة وعشرون آلف مليون ريال!!.

- إحياء بعض المعالم الشرعية المندرسة مثل «فقه دار الكفر ودار الإسلام» و«الراية والملاحم» مع أهل الكتاب «والإقامة في بلاد الكفر» و«الهدنة والعهد»، «وأحكام عصمة النفس والمال وكذلك الأحكام المتعلقة بالتحالف أو الاستعانة بالمشركين على المسلمين» وما أشبه ذلك مما سيكون مادة خصبة للاجتهاد والتفقه ووزن الأمور بميزان الشرع المطهر.

- ظهور فتاوى محررة فردية وجماعية في أكثر بلاد المسلمين واهتمام الغرب بهذه الفتاوى وإقبال الناس عليها مما يؤصل مرجعية أهل العلم في أمور الأمة.

- الإقبال غير المتوقع على الإسلام في أمريكا وقد سمعنا وقرأنا الكثير من الشواهد على ذلك حتى أصبح في حكم المتواتر[1] وهذا في ذاته نصر عظيم وآية بينة على صدق رسالة محمد ﷺ وغيظ المنافقين المخذولين الذين شمتوا بالمسلمين العاملين في حقل الدعوة هناك بل استعدوا عليهم الكفار.

- نجاح فكرة الربط بين أحداث ١١ سبتمبر وبين القضية الكبرى للمسلمين قضية الأقصى وعموم فلسطين واقتناع كثير من الناس داخل أمريكا - فضلاً عن خارجها - بضرورة التعامل العادل معها مما يعضد الانتفاضة المباركة ويسند جهاد المسلمين ضد اليهود[1].

---

(١) وهذه سلسلة والله متم نوره «المعجزة المتجددة في عصرنا» وخاصة هذا الجزء الرابع يقدم هذه الشواهد والأدلة ليزداد الذين آمنوا إيماناً.

(١) وقدم د. سفر الحوالي حفظه الله ملامح خطة مرحلية واستراتيجية ليس هذا مجالها وسنستعرضها في كتابنا اللاحق بإذن الله.

إذن وكما قال أخي الحبيب د. سفر الحوالي حفظه الله :

«إن قوتنا العظمى في ديننا وعقيدتنا وبها نغلب العدو ونفتح القلوب والبلاد فاهتمامنا بالعلم والدعوة وقدرتنا على البلاغ والحوار لشرح محاسن الإسلام هي أكبر أسباب النصر على العدو في ميدان المعركة واعظم مهمة لإعلاء كلمة الله في الأرض دون ان يعني ذلك الاكتفاء بالحوار عن الجهاد والدعوة وأن مقتل جنرال من العدو نصر نفرح به لكن ينبغي أن يكون فرحنا بإسلام واحد عالم أو قسيس أعظم منه.

كل هذا جنباً إلى جنب مع إعداد العدة التي نستطيع إعدادها لنعذر عند الله ويجب على المسلمين كلهم معرفة طبيعة المعركة والإعداد لها كل بما يستطيع فليس لها من حل سوى الجهاد بكل أشكاله وأن حب الشهادة هو مخزوننا الاستراتيجي الذي لا ينضب وهو لا يكلفنا بناء المفاعلات ولا أعباء الصيانة ولامخاطر الارتداد على من يستخدمه.

وفي الحقيقة ان الفرصة مواتية أمامنا الآن أكثر من أي وقت مضى فلو أن أعدى أعداء أمريكا انفق البلايين للدعاية ضدها لما استطاع ان يغيّر نظرة العالم إليها إلى الحد الذي فعلته بنفسها وهذا بالنسبة لنا نحن المسلمون نصر عظيم ومع ذلك فهو يستدعي واجباً عظيماً هو نشر الدعوة في تلك البلاد واستنقاذ أهلها من الظلمات والجحيم فلا نجاة لهم إلا بالإسلام وسجونهم أحد الشهود على هذا وبذلك نكسب ما هو أعظم من دفع شرهم عن الإسلام وهو تسخير قوتهم لخدمة الإسلام بإذن الله تعالى»[1].

---

(١) مقابلة أجرتها مع الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي مجلة البيان العدد ١٧٦ في عام ١٤٢٣هـ.

وعندما سئل فضيلة الشيخ الدكتور الحبيب ناصر بن سليمان العمر حفظه الله عن أثار أحداث ١١ سبتمبر[٢] قال:

الذي أراه - بغض النظر عن الحدث والحكم الذي ينطبق عليه - أن باطن الحدث «١١ سبتمبر» فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فالأذى نتيجة طبيعية للحدث في المنظور القريب أما على المدى البعيد - آمل أن يكون قريباً - فسوف تتحقق انتصارات ضخمة على جميع المستويات - بإذن الله - وهذا مرتبط بكثير من العوامل والأسباب التي إن أخذنا بها تحقق ذلك الفتح المبين.

والمشكلة التي تعاني منها الأمة عند الأزمات هي إنها لا تفكر إلا بأسلوب الخروج من الأزمة بينما الأحرى بها أن ترتفع في مستوى تفكيرها من البحث عن سبيل الخروج من الأزمة إلى استثمارها واعتبارها منطلقا لعز الأمة ومجدها فتتجاوز ظاهر الحدث الى الغوص في باطنه والبحث في أعماقه فإن كل محنة تنطوي على منح عظيمة فلا يصرفنا مظهر المحنة عن حقيقة المنحة فإن الله - سبحانه - لم يخلق شراً محضاً. وعندما سُئل عن محاولات بعض المنتسبين للإسلام وأعداء الإسلام الدعوة إلى إلغاء فريضة الجهاد التي هي رأس سنام الإسلام أجاب:

مشكلة هؤلاء عبر التاريخ هو الغباء المتذاكي! وتكمن مأساتهم في عدم فهمهم وإدراكهم لطبيعة هذا الدين وسر الجهاد فيه وليعلموا أن الجهاد ليس سلعة

---

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر حوار مجلة البيان العدد ١٨٤ في ذو الحجة ١٤٢٣هـ الموافق فبراير٢٠٠٣م مع فضيلة الشيخ د. ناصر العمر وهو من أعلام العلماء المعاصرين أستاذ في قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقا تخرج في كلية الشريعة وحصل على درجة الأستاذية في القرآن وعلومه وله العديد من المؤلفات وهو المشرف على موقع المسلم على شبكة الإنترنت الذي سيبدأ انطلاقته بمشيئة الله في العام الهجري الجديد ١٤٢٤هـ.

تجارية تحجب بقرار من هيئة الأمم أو نظرية هندسية تحتاج إلى كتاب ومعلم وطالب وإنما هو سنة ربانية وضرورة بشرية وحاجة فطرية وفريضة شرعية متى ما وجدت بواعثه انطلق كالسيل العرم لا يوقفه شيء وسر عظمته انه يخضع الآخرين ولا يخضع لهم وغايته تطويع الأرض لله وإخضاعها لشرعه وأمره ونهيه.

وإذا كانوا جادين في إيقاف الجهاد - وأني لهم ذلك- فليتجهوا صوب أسبابه وبواعثه من الظلم الذي تمارسه جبابرة القرون من فرض إرادة البشر على البشر ومنعهم من ان يختاروا الدين الذي ارتضاه الله لعباده وإلا فهم كما قال الله عن أسلافهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢) ومن العجب أن من خصائص هذا الجهاد أنه ينمو ويقوى كلما حاول أعداؤه النيل منه والحد من انطلاقته ومسيرته وبيننا وبينهم ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (التوبة: ٢٩) وجواز المرور إليهم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ (الحج: ٣٩) وغاية الأماني ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) وحقيقة هؤلاء أنهم ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢) ونقول للمسارعين فيهم ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ (المائدة: ٥٢).

ويمضي الدكتور الحبيب في أجابته على سؤال حول رؤية فضيلته للمحن التي تصيب الأمة فيقول: المحن هي الجامعة الكبرى التي تخرج القادة والمجددين والمصلحين حيث لا يتحقق التمكين إلا بعد الابتلاء.

وقد سئل الشافعي رحمه الله أيهما أفضل للرجل أن يمكن أو أن يبتلى قال: لا يمّكن حتى يبتلى.

وقال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيميه يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

وقديماً قال ورقة لرسول الله ﷺ «يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: «**أو مخرجي هم؟**» فقال ورقه: نعم! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً».

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أن دخول الجنة مرهون بتجاوز المحن والبأساء والضراء فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

لذلك قال أحد الدعاة المعاصرين عندما سُئل عما أصابه من بلاء ومحنة وألم تصدك هذه المحن عن الطريق إلى الله أو توهن من عزيمتك؟ فقال: «لولا هذه المحن والابتلاءات لشككنا في طريقنا وقرأ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢).

ومن هنا فإن هذه المحن التي تصيب الأمة هي علامات الطريق للوصول إلى العزة والكرامة والسؤدد فإن أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد يكون البلاء عقوبة على ذنب وقع من الأفراد أو الأمة ومع ذلك فلا يخلوا من خير إن تاب الناس وأنابوا أما إذا تمادوا في ظلمهم فربما كانت القاصمة ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ، فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ، لاَ تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾ (الأنبياء: ١١: ١٥).

وعندما سئل فضيلة الشيخ عن رؤيته لدور العلماء والدعاة قال: قناعتي أن المشكلة ليست في تحديد هذا الدور ولا في بيان الطريق وسبل النجاة فهي أوضح من الشمس في رابعة النهار كما قال ﷺ: **«قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**، وإنما تكمن المشكلة في السؤال الكبير هل لدينا الاستعداد لمواجهة تلك المحنة؟ وهل الأمة على قدر المسؤولية؟ وهل نحن على استعداد للتخلي عن الدنيا وزخرفها والتضحية بذلك في سبيل عقيدتنا ومبادئنا لاستعادة مجدنا وعزتنا وسؤددنا؟ لقد سئمت الأمة التنظير واجترار الكلمات وآن الأوان أن نقبل التحدي بصدق ويقين فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقد ذم الله القائلين ما لا يفعلون **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾** (الصف: ٣). وبيت القصيد ونقطة البداية والنهاية في الآية التي تليها **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾** (الصف: ٤) ونبراسنا الذي يضيء معالم طريقنا **﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** (آل عمران: ١٣٩) وإلا فهو الذل والصغار «وعلى نفسها جنت براقش».

فقد قال ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينـــزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**.

فشتان شتان بين أسلافنا الذين نصروا بالرعب وبين من قذف في قلوبهم الوهن ولن يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

أقول بكل ثقة ويقين إن المعركة مع الغرب محسومة لصالح هذه الأمة بإذن الله والعدو يحفر قبره بيديه **﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ**

حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ (الصف: ٢) ولكن الأمر يحتاج إلى خطة استراتيجية كبرى! نعي فيها أن المعركة صولات وجولات وكر وفر قد تصاب الأمة بجروح وقروح في أولها ثم يكون الانتصار العظيم في نهايتها إذا صدقنا مع الله وأخذنا بالأسباب الشرعية لذلك ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١).

وواصل د. ناصر العمر حديثه في إجاباته على أسئلة أخرى فكان مما قال: «لقد اثبت التاريخ أن الضربات التي توجه إلى الأمة لا تزيدها إلا صموداً وثباتاً وهي وإن ترنحت أمام تلك المحن ساعات محدودة أو لأيام وشهور محدودة فإنها سرعان ما تثبت على قدميها مفاجئة أقرب الناظرين إليها وهي وإن غابت عن الساحة لحظات فإنما هي استراحة المحارب وغفوة المجاهد ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١) تتلوا ذلك صولات وجولات تحقق أعظم الانتصارات ولو كانت هذه الصحوة تخضع للظنون والتحليلات لكنا كبرنا عليها منذ زمن بعيد أربع تكبيرات ثم ووريت التراب ولكن ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨)».

وحدد د. ناصر حفظه الله تعالى بعض المعالم المهمة على طريق مسيرة وتطوير الصحوة الإسلامية المعاصرة منها العودة الصادقة إلى الله وتربية الأمة على الإسلام والإيمان المطلق بأن الإسلام هو المنطلق الوحيد لتعاملنا في قضية فلسطين وتوعية الأمة بأن الجهاد هو الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين ووحدة الكلمة واجتماع الصفوف ووجود خطة محكمة وإستراتيجية واضحة تراعى فيها الظروف

والإمكانيات وتدرس فيها العوائق وسبل إزالتها ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

وقد أغنى الأستاذ راشد الغنوشي أيضاً هذا الأمر في بيان دعوة الإسلام المستقبلية التي تطمح إلى تحقيق المثال بقدر ما يطيق البشر ولأن حملة تلك الدعوة متفائلون لا يعرف الوهن ولا الحزن ولا اليأس إلى قلوبهم طريقاً مهما طال الطريق وتكالب الأعداء وطفحت الجراح وادْلَهَمَّ الليل من حولهم ففي قلوبهم قبس من نور الله ومن السكينة والشعور العميق بمعية العزيز الرحيم وأنه ناصرهم ولو بعد حين وأن كل ماينالهم من مكاره ومصائب لهم يحسبها درجات في الجنة أسماها درجة الشهيد كما أنهم واثقون في الناس وما جبلوا عليه من فطرة خيرّة تنصاع إلى الحق غالباً إذا استبان لها فلابد من استمرار توجيه البيان إليها وتنويع طرائقه وتحسينها شأن من يحفر بئراً بحثاً عن الماء فمهما تعمق دون أن يجد تراه يواصل موقنا أن في الأرض ماء مهما نأى فلا يغره ولا ييأسه الجفاف البادي بل يدأب على الحفر موقناً أن تدفق الماء قريب متوقع في كل لحظة فيستمر حتى يأتي وعد الله وتدرك خصمه المعاند فيئه إلى الرشد فيستيقظ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٨).

وأبرز آية أخرى عن أن الإسلام دين مستقبلي هي تلك المكانة المتميزة التي خص بها المستضعفين من الرجال والنساء والولدان «الشباب» فكان هؤلاء هم أتباع الأنبياء وحاملي مشعل التجديد حتى أن فئة الشباب مثلاً كانوا أبداً أغلب أتباع الأنبياء وحملة رسالة الدعوة والجهاد لنصرتها هدماً للخرافة والأوهام والأوثان وإقامة لمعالم التوحيد لنصرتها وتحريراً للعقل وإطلاقه من عوائقه.

قال تعالى في أتباع موسى عليه السلام: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ (يونس: ٨٣).

أما عبدة الأوثان في العراق فقد توجهوا بتهمة هدمها إلى الفتى إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٠).

أما خاتم الأنبياء ﷺ فقد أحسن سبك ذلك الجيل من الشباب والمستضعفين عامة ليرسي بهم نموذجاً للعدالة الإلهية في ظل منارة عظيمة تهدي الحائرين وتفجر تحت عروش الجبارين براكين لا تغيض إلى يوم الدين رفضاً للواقع الظالم وانشداداً إلى ذلك النموذج في إصرار لا يلين على إرسائه مجدداً أو الاقتراب منه بأقصى ما تسمح به الأحوال ولأن المجتمعات كالأشجار تتجدد من جذورها وتخرج أغصانا يانعة عندما تدرك الشيخوخة أغصانها البالية العالية فقد كان علامة مميزة لمدى التجدد في المجتمع مدى إقبال الشباب على دعوات التجديد. فإقبالهم على دعوى محددة وانصرافهم عن أخرى مؤشر على أن التاريخ يتجه في طور محدد.

لقد كان اتجاه الشباب في النصف الأول من القرن العشرين إلى الأفكار العلمانية أو الفاشية فكان لها الحكم في النصف الثاني منه بينما كان الاتجاه في الستينات والسبعينات صوب التيار اليساري وقد انتهت لأتباعه مواقع قيادية كثيرة منذ عقد التسعينات إلا أن الشيخوخة كما أدركت أفكار اليمين الليبرالي والفاشي وأدركت أفكار اليسار، سواء في صورته الفاشية الهالكة أو في صورته الحالية المخضرمة.

وتقديرنا أن كثيراً من المؤشرات واضحة الدلالة على اتجاه التاريخ صوب الإسلام وحملة رسالته التحريرية، وهو ما يعزز شهادات الوحي التي نطقت بها

نصوص قطعية كثيرة من الكتاب والسنة وأكدت أن الله جل جلاله متم نوره ولو كره الكافرون ومظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون وأنه لن يبقى بيت في حضر أو بدو إلا دخلته كلمة الإسلام، وأنه لن تقوم الساعة حتى تعود رسالة الإسلام تشع عدل القرآن في الأرض كلها.

وأمارات ذلك تتضافر ساطعة كالشمس، بما امتد ويمتد كل يوم في كل أرجاء المعمورة من المساجد ومساجد إسلامية واشتداد الإقبال على كل ما هو إسلامي مما لم يتحقق مثله حتى في ظل الدول الإسلامية العظام وجيوشها المسيطرة وذلك تحقيقاً لتنبؤات الوحي وثمرة من ثمار صحوة العقول وانتشار العلوم وثورات الاتصال وقيم الحرية، وهي كلها من جوهر قيم الإسلام[1].

(١) انظر الإسلام وفكرة المستقبل للأستاذ راشد الغنوشي المجتمع العدد ١٥٢١ رجب ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢/١٠/٥م.

هذا الكتاب.. رسالة دعوية!!

إن هذا الكتاب ليس بحثاً أكاديمياً ولا تحقيقاً ميدانياً، بل رسالة دعوية وتوضيحا لحقائق انتشار دين الله الحق وهذا من بين أهم الدوافع والأهداف وغيره مما ذكر أعلاه.

السبب الأهم لهذا الكتاب «المعجزة المتجددة»

وهناك سبب آخر وهو الأهم في نظري أيضاً سبق أن أشرت إليه في الجزء الأول من المعجزة المتجددة وهو أن بعض الأخوة يهمل حقائق العصر الإيجابية المبشرة بمقدم دولة الإسلام الراشدة تحت وطأة المكر الدولي المتعدد الأجناس وشدة الفتنة وعظيم المحنة وكثرة الانشغال في خضم الصراع السياسي والاجتماعي ويحصر اهتماماته في هذا الجانب وإغفال كل الجوانب الأخرى للدعوة الإسلامية فيبعثر طاقاته وجهوده في مجال محدود ويعتذر هؤلاء الأخوة بأحوال الأمة الإسلامية اليوم والأحوال العامة للمسلمين في البلدان الإسلامية ذاتها ويرون أن الآخرين لن ينجذبوا إلى هذا الدين إلا إذا أصلح المسلمون من أحوالهم وهذا جزء من الحقيقة وجزئية صحيحة في الإطار العام لكن هؤلاء يغفلون ويهملون الأسباب الأخرى الموصلة إلى إصلاح الأحوال ومنها:

- أن هذا الدين هو دين الله الذي ارتضاه لعباده ويجذب الله ويهدي الله من يشاء سواء صلحت أحوال الآخرين أو أحوال بعض المسلمين أو لم تصلح فهو القائل عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾، والقائل عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

- أن هذا الدين غير متوقف على صلاح بعض هؤلاء المسلمين المبتعدين عن دينهم المعرضين عن هدى ربهم المتذبذبين في سلوكهم واعتقاداتهم أو المنشغلين في أهوائهم وآرائهم وفلسفاتهم وأخطائهم وإنما يتوقف على استمرارية الدعوة الإسلامية وإرادة الإصلاح والتصحيح ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨) وعلى استمرارية أداء واجب البيان والبلاغ والإيضاح وتعميق الحق والإيمان.

- إن إصلاح أحوال المسلمين المقصرين جزء من عملية الدعوة الشاملة فلا تتوقف هذه من أجل تلك ولا تلك من أجل هذه بل هي تسير في نسق متكامل موحد وبتسخير وإرادة ومشيئة الله محسوب فيها الأجر قليلة وكثيرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) إن الله سبحانه وتعالى قد حذر أهل الإسلام في كل عصر من العصور أنهم إذا أهملوا وقصروا وتمادوا بعد ذلك فأعرضوا وانحرفوا وتولوا عن هذا الدين، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨) وله في ذلك حكمة جل وعلا ظهر منها إلى اليوم ما ظهر واستتر منها ما أراده هو جل شأنه.

ومن إعجاز هذه الآية العظيمة ما نراه باستمرار في كل عصر من العصور باستمرارية تقصير وإعراض من بعض الناس واستبدال الله سبحانه وتعالى غيرهم، يدخلون الإسلام وينصرونه ويؤازرونه ويتمسكون به أكثر ممن سبقهم.

وتظل هذه الآية العظيمة تشع بنورها وحيويتها الدالة والشاهدة على إعجاز القرآن العظيم وسنة النبي الكريم ﷺ الموجه للمسلمين جميعاً في مسار الدعوة إلى يوم القيامة فقد قال: «بلغوا عني ولو آية»، وقال ﷺ: «لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها»، «وخير لك من حمر النعم» وتتأكد

حقائق هذه الآية العظيمة دائماً وباستمرار وتؤكد أيضاً أن رسالة المسلم في الأرض ليست رسالة قتل وهدم وتدمير بل رسالة هدى وبيان وتوضيح وإرشاد وأن أجدادنا المسلمين لم يدخلوا البلدان غزاة ناهبين بل فاتحين للعقول والقلوب إلى الإيمان ورحمة من رب العالمين، وقد وصلوا إلى كثير من أنحاء الدنيا وسطّروا صفحات ناصعة في تاريخ الإسلام عقيدة وشريعة. وقدم أهل اليمن على وجه الخصوص نماذج عظيمة من الفتح بالسيف وبلا سيف سواء في دخولهم إلى الإسلام أو في نشرهم له في كثير من أنحاء الدنيا، وحول أكذوبة انتشار الإسلام بحد السيف يؤكد د. جمعة في دراسته أن الإسلام انتشر بعد ذلك بطريقة طبيعية لا دخل للسيف ولا القهر فيها وإنما بإقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم عن طريق الهجرة المنتظمة من داخل الحجاز والجزيرة كالآتي:

- في فارس (إيران) كانت نسبة المسلمين ٥٪ وفي العراق ٣٪ وفي سورية ٢٪ وفي مصر ٢٪ وفي الأندلس أقل من ١٪.

بينما السنوات التي وصلت نسبة المسلمين فيها إلى ٢٥٪ من السكان فهي الآتي:

- في إيران سنة ١٨٥هـ والعراق سنة ٢٢٥هـ وسورية ٢٧٥هـ ومصر ٢٧٥هـ والأندلس سنة ٢٩٥هـ.

والسنوات التي وصلت نسبة المسلمين في هذه البلاد إلى ٥٠٪ من السكان كان الآتي:

- في بلاد فارس ٢٣٥هـ والعراق ٢٨٠هـ وسورية ٣٣٠هـ ومصر ٣٣٠هـ والأندلس ٣٥٥هـ.

أما السنوات التي وصت نسبة المسلمين فيها إلى ٧٥٪ من السكان فكانت الآتي:

في بلاد فارس ٢٨٠هـ والعراق ٣٢٠هـ وسورية ٣٨٥هـ ومصر ٣٨٥هـ والأندلس سنة ٤٠٠هـ.

الفتوح الإسلامية كانت غير دموية وتوضح الدراسة أن المسلمين في مسيرتهم لنشر الإسلام لم يكونوا دمويين كغيرهم، والدلائل التاريخية كلها تشهد على ذلك حيث تميز هذا الانتشار أيضاً بخصائص منها:

عدم إبادة الشعوب، ومعامله العبيد معاملة راقية بعد تعليمهم وتدريبهم وتوليهم الحكم بعد فترة اشتهرت في التاريخ الإسلامي بعصر المماليك، والإبقاء على التعددية العقدية من اليهود والنصارى ومجوس وغيرها، كذلك كانوا جميعهم يتمتعون بالحرية الدينية، هذا فضلاً عن إقرار الحرية الفكرية فلم يعهد أنهم نصبوا محاكم تفتيش لأي من أصحاب الآراء المخالفة، وقد ظل إقليم الحجاز الذي هو بمثابة مسقط رأس النبي ﷺ ومصدر الدعوة الإسلامية الأول فقيراً حتى عصر اكتشاف البترول، ولم يقم الخلفاء ولا زعماء الدول الإسلامية التي قامت بجلب كافة أنواع الثروات إلى الحجاز وتجاهل باقي الأقطار، فقد كانوا يتركون كل بلد تنفق من مواردها على نفسها وما يفيض يستغلونه في خدمة الأمة الإسلامية بأثرها عكس ما نرى اليوم من الحضارة المادية حيث ٢٪ من سكان الكرة الأرضية يملكون ثروات تبلغ نسبتها ٨٠٪ من إجمالي ثروات العالم فضلاً عن تركزها في عواصم الدول الكبرى.

وتؤكد الدراسة أن هذه الحقائق ظلت باقية إلى يومنا هذا عبر التاريخ، ولكن على العكس منها تعرض العالم الإسلامي للاستعمار ولإبادة الشعوب وتهجيرها، ولمحاكم التفتيش، والحروب الصليبية، ولسرقة البشر من غرب أفريقيا وصناعة العبيد في أمريكا، وهذا ملف واسع كبير والغرض من ذكره المقارنة بين نقاء حروب الإسلام في مقابلتها بالحروب عند غير المسلمين قديماً وحديثاً[1].

وعندما سرت سنة الله في خلقه وحصل الإعراض والتبديل من قبل بعض المسلمين حكاماً ومحكومين وابتليت الأمة بسيطرة أعدائها وحدوث الغزو الصليبي

(١) المجتمع العدد ١٥٠٩ - ٣جمادى الأولى ١٤٢٣هـ ١٣ يوليو ٢٠٠٢م.

واليهودي المباشر وغير المباشر حتى وصلوا إلى تغيير عقل جزء من الجيل المسلم وحرفوه عن دينه عن طريق النظريات والأحزاب والفتن والشهوات حتى أصبح جاهلاً بدينه وتاريخه مشوش الفكر، رغم أن الإسلام يحارب الظلم والطغيان والاستبداد والاستغلال والاحتكار والخبائث ويدعو إلى عدم الركون إلى الظالمين وإلى تغيير المنكر ولو بالمقاطعة السلبية أقل ما يمكن أن يعمله المسلم أمام المنكر ويدعو إلى الحرية والقيم والأخلاق والعدالة والأمانة والنهضة واستخدام كل ما سخره الله للإنسان ليكون في سبيل الخير وطاعة الله ونيل رضاه طمعا فيما عنده في الآخرة.

لكن للأسف مع بداية النهضة الأوروبية المعاصرة كان المسلمون في سبات عميق ودخلوا دور الانحطاط والانحراف عن الدين بعد أن أضافوا إلى الدين ما ليس فيه فشوهته الخرافات والبدع وتمزقت الأمة وضاعت وحدتها وجهلت بشئون دينها ودنياها ودب فيها المرض والوهن الذي أقعدها وأعجزها حتى أن تدفع عن نفسها هجمات الصليبيين واحتلال بلاد المسلمين، فلما جاء المستعمرون ونقلوا إلينا آثار تلك الأفكار والنظريات العلمانية والإلحادية الكافرة وأنشأوا أجيالاً في المدارس والجامعات ومعاهد التنصير وغيرها تتشرب نفس مناهجهم البعيدة عن الدين ويغرسون في الأذهان أن الأديان كلها سواسية وأنها تعادي العلم وتناصر الظلم والاستبداد لم يميزوا بين الأديان والاتجاهات الباطلة المحرّفة والدين الحق ولم يدرسوا كيف بعث الله محمداً ﷺ ليصحح الانحراف الكبير الذي وقعت فيه البشرية آنذاك ويقوم الاعوجاج الذي حدث في الدين فوقعوا في جهل كبير وورثوا لنا خطراً كبيراً أيضاً كلفنا خسائر كثيرة خاصة مع تقصير العلماء وجهل الآباء وعدم اعتنائهم بالدين ونكسة الخلافة الإسلامية وضعف وحدة المسلمين وإعاقة نهضتهم وتطورهم[1].

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجى العودة الى كتبي الأخرى.

بعض أهم معوقات العمل الدعوى في الوقت الحاضر!

إن هناك معوقات كثيرة تعد من أشد معوقات العمل الدعوي لنشر الإسلام في العهود الحاضرة التي لا زلنا نعيشها لعل أبرزها معوقان:

المعوق الأول: ضخامة وحجم المخططات والمكائد المعادية للإسلام والإمكانيات الهائلة التي ترصد لذلك سواء داخل البلدان الإسلامية لمزيد من تجهيلها أو إضعافها وتمزيقها والسيطرة عليها أو من خارج البلدان الإسلامية بممارسة شتى أنواع الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الأمة الإسلامية لمنعها من النهوض والتقدم، وتسنم قيادة البشرية كخير أمة أخرجت للناس وكأمة وسط شاهدة على الناس آمره بالمعروف وناهية عن المنكر كما أراد لها خالقها عز وجل.

ونحن هنا لا نعلق أخطاءنا على الآخرين ولا نهوّل الأمور ونبتعد عن المسؤولية ولا نلقي على ظهور غيرنا تبعات هذا الوضع المأساوي الذي تعيشه الأمة الإسلامية، **أولاً** لأننا مؤمنون بقضاء الله وقدره، **وثانياً** لأننا مسلمون ومنصفون نقول الحق ولو على أنفسنا وسنعرض في هذا الكتاب بإذن الله جزءاً من الشواهد والأدلة والبراهين القولية والعملية التي نؤكد بها حقيقة ومضمون هذا المعوق الكبير[1].

فلقد بلغ الأعداء مبلغاً عظيماً في الكيد للإسلام وإبداء البغضاء من أفواههم ومحاولة إطفاء نور الله بأفواههم أي بإذاعتهم وتلفزيونا تهم وفضائياتهم ومجلاتهم وصحفهم وإعلامهم عامة.

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر مؤلفاتنا الأخرى ومنها (بعض القضايا الإسلامية المعاصرة وتوجهات النظام الدولي الجديد).

ولم يعد خافياً على أحد الحملة الإرهابية العالمية بكل صورها وأشكالها التي لاهم لها سوى أن تشوه صورة الإسلام، وتقدمه على أنه عدو وخطر وتهديد، في حين تقدم المسلمين في صورة الرجعيين والمتخلفين والماكرين والشهوانيين والمتعصبين والكذابين والإرهابيين! وتقدم أخبار سلبية دوماً عن العالم الإسلامي إذ تمتلئ بأخبار المجاعات والتعصب والإرهاب والعنف والتدمير والانقلابات العسكرية والكوارث والفيضانات، والاضطرابات السياسية، والتطرف والأصولية والمد الإسلامي والقنبلة الإسلامية والبترول الإسلامي أو العربي، وغيرها من الأخبار والموضوعات التي وصفتها دراسة أعدها الأزهر الشريف وأشرت إليها في الأجزاء السابقة ويصفونها بأنها تشعل نار العداوة بين الغرب والعالم الإسلامي[1].

لقد جعلت الحملة الصليبية المعاصرة التي تمثل محور الشر الحقيقي ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ**﴾ (البينة: ٦، ٧).

من أبرز أهدافها كما أعلنها كثير من القادة السياسيين والعسكريين والمثقفين والأحبار أمثال الرئيس الأب والأبن بوش وديك تشيني وهنري كيسنجر ورامسفيلد ونائبيه وكولن باول والرئيس الإيطالي وتاتشر وبلير وليبرمان وفوكوياما وأتباع اليهود الحرب الصريحة على كتاب الله القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ وإعلانهم الصريح بطلب قصف الكعبة الشريفة وإلغاء لوحة تحديد طريق غير المسلمين في البقاع المقدسة وبطلب تغيير وحذف آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وإلغاء تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة واللغة العربية والتاريخ الإسلامي من خلال خطتها ومحاولاتها إلغاء التعليم

(١) انظر صحيفة المسلمون والشرق الأوسط والصحف المصرية في رجب ١٤١٧هـ.

الديني وإلغاء المدارس الدينية في العالم الإسلامي وتغيير مناهج التعليم الإسلامي والمعاهد الإسلامية والجامعات الإسلامية في البلدان العربية والعالم فهم يريدون كما صرح الشيخ الحبيب عائض القرني حفظه الله: «يريدون شطب حوالي ٢٤٠ آية من آيات الجهاد في القرآن الكريم ويريدون أن تلغى دروس السيرة مثل سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه وصلاح الدين الأيوبي وسيرة المجاهد طارق بن زياد وسعد بن أبي وقاص رضوان الله عليهم وأمثالهم ممن فتحوا وأثروا الحضارة الإنسانية بغزواتهم رضوان الله عليهم ويعقب الشيخ عائض على هذا الطلب بقوله: نحن نعلم علم اليقين أنهم كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠) أصلا هم لن يرضوا ولن يتسامحوا حتى نغيّر الإسلام جملة وتفصيلا ونحن لن نقبل بهذا أبدا»[1].

بل وطالبوا بإلغاء الجمعيات الخيرية والتعاونية التي تكفل الأيتام وترعى الفقراء والأرامل والعجزة وصادروا أموالها في حرب سافرة ضد كل ما هو خير وكل تعاون على البر والتقوى وزاد ظلمهم وبغيهم وتعاونهم على الإثم والعدوان أن تسعى وتعمل وبالقوة والضغط والإجبار واستخدام آلتها الحربية العسكرية لفرض تغيير الهوية الإسلامية وإذلال الأمة الإسلامية وأذى إخواننا المسلمين في تلك الديار أيضاً بشكل لا يمكن وصفه في أبشع مشاهد بينت محتوى الحضارة المعاصرة ومحتوي ما سمي النظام العالمي الجديد وأسقطتهما وأثبتت للعالم أنها غير جديرة بقيادة البشرية وصدق الله القائل: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة: ١٠٩)،

---

(١) انظر لقاء الشيخ مع مجلة الشقائق العدد ٥٨ ربيع الثاني ١٤٢٣هـ الموافق يونيه ٢٠٠٢م.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩)، وأعلنوها صراحة أنهم يرون الإسلام دينا خبيثاً وشيطانياً وشريراً بل لا يعترفون بأنه دين أصلاً.

ورغم أن ملايين الناس هناك عندما يتعرفون إلى الإسلام يدخلون فيه أفواجاً وحتى بعد أحداث ١١ سبتمبر فقد سجلت المساجد والمراكز الإسلامية هناك تدفقاً ملحوظاً للدخول في الإسلام ونشرت تفاصيل ذلك في أجهزة الإعلام الغربية نفسها التي لم تستطع تجاهل هذه الحقيقة ورغم أن عدداً كبيراً من كبار القساوسة دخلوا في الإسلام وخرجوا من الصوامع والكنائس إلى منبر ومحراب المسجد بل وحولوا العديد من الكنائس إلى مساجد ومصليات ودور للقرآن وعلومه هناك بل وسجل التاريخ القريب أن فريقاً من الأساقفة والقسس الكبار في الدانمارك بعد مناظرة مع علماء المسلمين أنطقهم الله الذي أنطق كل شيء بالحق فأكدوا: «أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الإلهي الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف قط في حين أن الكتب السماوية الأخرى قد حرفت وتعرضت للتحريف على مدي التاريخ».

رغم كل هذه الحقائق فإنهم أعلنوا مجدداً لنا وبكل وضوح أنهم يغيرون الإنجيل والتوراة دائماً وفقاً للمتغيرات والأحداث التاريخية الكبيرة ويفاخرون بذلك ويدعون إلى أن يفعل المسلمون مثل ذلك وما يزيدنا هذا إلا إيماناً وتسليماً لأن الله عز وجل أخبرنا عن هذه الصفة فيهم فقال جل وعلا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

وقال جل وعلا: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧١).

وقال جل وعلا: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٥).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨)، ونحن نعلم علم القين بأن الله تكفل بحفظ هذا الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقد أخبرنا عز وجل بأن الدين عند الله الإسلام وأنه لا يجوز القبول بما تسمى فكرة الرضا بالأديان كأمر واقع لأن الله قال: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً﴾ (المائدة: ٣)، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

لذلك فإن جهود أعداء الإسلام المباشرة وغير المباشرة مآلها الخسران المبين في الدنيا والآخرة ومهمتنا هي الدعوة إلى دخولهم في دين الله الحق هذا الدين الإسلام وليس الانصياع لرغباتهم وأهوائهم ولو استخدموا القوة لإثنائنا عن الإسلام فلن نقبل ونعلن بكل وضوح أن ثقتنا بالله لا تتزعزع وإننا على المنهج الحق وقد أعلمنا الله في القرآن الكريم الذي يسعون لإيذائه أن الفتن والابتلاءات كثيرة ليمتحن المؤمن الصادق ويميز المنافق والكافر عن الصابر الصادق وبشرنا بالنصر وبشرنا النبي ﷺ بالطائفة المنصورة الباقية لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

إن الدنيا بأسرها لن تستقيم إلا بالإسلام وقد يكسب الباطل جولة أو جولتين وقد يقهر جيلاً أو جيلين ولكنه لن يقدر على قهر إرادة الأمة إلى الأبد فالإسلام هو سفينة النجاة في هذا العصر وكل عصر وستصلح الأمة مستقبلها بما صلحت به

أولها ولن يستطيع أي حكم أن يحقق لنفسه الثبات إلا إذا التزم بالإسلام وفجر في قلب شعبه ينابيع الإيمان وأذكى في أعماقه الانتماء إلى الإسلام وقاد مسيرته على طريق الإسلام وهذا هو الإطار الذي دار فيه الصراع بين الحق والباطل في الأرض ولا تزال تدور معركة بعد أخرى وموقعة بعد أخرى وجولة بعد أخرى سنة الله الماضية وستظل بلاد الإسلام تنجب رهبان الليل وفرسان النهار قوافل بعد قوافل حتى آخر الزمان يقاتلون أكبر أعداء الله كما أخبرنا الصادق الأمين ﷺ وقال أنى أعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم وهم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ ومن المؤكد قطعا أن جهود أعداء الله سوف تنقلب عليهم خسراناً وبواراً فقد أخبرنا الله في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧)، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ، فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (إبراهيم: ٤٦، ٤٧).

وسيتحقق وعد الله ورسوله وستفشل كل هذه المخططات والمؤامرات والفتن والحملات الصليبية والتحالفات الاستراتيجية مع اليهود التي يريدون من خلالها إثناء الأمة الإسلامية عن استعادة دورها التاريخي في قمة ذرى المجد الرفيع وقيادة البشرية مرة أخرى على هدى دين الله ولاشك أن العاقبة للمتقين وأن الحق سيجيء ويظهر لأن الباطل دائما كان زهوقا وقد وعد الله المؤمنين الصادقين باستخلافهم في الأرض وبشرهم بالنصر المبين.

وقال عز من قائل كريم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، وسيتحقق وعد الله: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٨)، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٦)، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٦)، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥)، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

إذن فمن الصواب في ضوء هذا التمسك بالصواب ومعنا الحق والحجة البالغة فقد قال الله عز وجل: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: ٢).

ولهذا لابد يقينا رفض فكرة وحدة وتقارب الأديان لأن الله ختم الرسالة ونسخ ما قبلها بسبب التحريف وينبغي عدم الإقرار بصحة الدين المحرف لأن هذا يخالف القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ. وعدم موالاتهم لأن الله عز وجل دعانا وأمرنا بذلك فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

ولا بأس أن نواصل الحوار من أجل الوصول إلى الحق والقبول به وليس من أجل الحوار أو القبول بالنصرانية أو غيرها من المعتقدات الباطلة وقد أعلمنا الله عز

وجل بقوله: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

لقد أخبرنا الله عز وجل عن هذه الفرق من خلقه وعن صفاتهم وأساليبهم وطرقهم وهو الخالق العليم الخبير فبين لنا في القرآن الكريم صفات كثيرة لهم منها عدم الرضى الكامل عن كل ما أنزل الله فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ومن أفعالهم الدنئية إيقاد الفتن والحروب ونبذ العهد ونقض المواثيق ونبذ الكتاب وإظهار عدم العلم وتبديل الكفر بالإيمان وضياع السبيل والرغبة في تكفير الآخرين وحب الحياة والحرص عليها وحب المال والنفاق والبخل وسوء الأخلاق والافتراء والتلفيق مثلما حصل لسيدتنا مريم عليها السلام حال ولادتها دون تبين الحق ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾ (النساء: ١٥٦).

ومثل التجسس على الأعراض والجهر بما ستر الله والمحاجة بدون هدى ولاعلم ولاكتاب منير والتفريق بين الرسل عليهم السلام والتكذيب بآيات الله ومخالفة أوامر الله وقتل الأنبياء والرسل ورفض النعمة وتبديل القول وتحريف كلام الله وكتابة أراء بأيديهم والقول بأنها من عند الله وما هي من عند الله والشراء بآيات الله ثمنا قليلا وقسوة القلب والنقمة من المؤمنين والمسارعة في الإثم ونشر الفساد والادعاء بأنهم أحباء الله وأبناء الله وان النار لن تمسهم إلا أيام معدودة واتهامهم لله بأن يده مغلولة وكثرة الأعذار والمجادلة مثلما عملوا مع موسى عليه السلام بشأن البقرة وطلباتهم المقيتة مثل لولا يكلمنا الله ورغبتهم أن يروا الله جهرة وطلبوا أن تكون لهم آلهة أخرى غير الله والتعصب الأعمى لباطلهم ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠) واتخاذ الدين

لعباً ولهواً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ٥٧، ٥٨).

وقد عاقبهم الله بالطمس على وجوههم وردها على أدبارها ولعنهم كما لعن أصحاب السبت وضرب عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وألقى بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة وجعل قلوبهم قاسية وتوعدهم بالعذاب الشديد.

وإن من صفاتهم الحسد ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩).

ومن سلوكياتهم الدنيئة كتمان الحق وإخفاء الحقائق ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٤٢)، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (المائدة: ١٥)، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩).

ومن صفاتهم التطرف والغلو لذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١)، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

ومن صفاتهم القول بالتثليث ولذلك نهاهم الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٧١).

وتكرر النهي في أكثر من آية في القرآن الكريم فقال عز من قائل كريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (المائدة: ٧٣: ٧٥).

وقال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (التوبة: ٣١).

ومن اعتقاداتهم الدميمة القول بأن عيسى إله ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: ١١٦، ١١٧).

ومن اعتقاداتهم الذميمة أيضاً القول بأن الله هو المسيح ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢).

ويقول عز من قائل كريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٧).

ومن اعتقاداتهم الخاطئة القول بأن المسيح ابن الله وشرح ذلك لنا ربنا عز وجل في كتابه العزيز فقال: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الزمر: ٤)، ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (يونس: ٦٨)، ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ (الكهف: ٤، ٥)، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦)، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياًّ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياًّ، وَبَراًّ بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياًّ، وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَياًّ، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (مريم: ٣٠: ٣٦).

ومن اعتقاداتهم الخاطئة القول أن المسيح صلب وقد بيّن لنا الله عز وجل في كتابه العزيز فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء: ١٥٧، ١٥٨).

كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ (البقرة: ١١٣).

ومن صفاتهم الذميمة الاختلاف بسبب البغي ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ (الجاثية: ١٧).

ومن صفاتهمْ الذميمة التفرق ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

ومن أفعالهم القبيحة هدم المساجد ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (التوبة: ١٧).

ومن أفعالهم القبيحة تحريف كتاب الله ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

وبين الله عز وجل أنهم نجس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

ولعل من أكبر وأخطر وأبرز صفاتهم وأفعالهم التي بينها الله لنا:

١- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢).

٢- ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٠٥).

المعوق الثاني: ما آلت إليه أحوال المسلمين من جهل وتجهيل متعمد بدينهم وترك للفرائض ناهيك عن السنن وما علق في أذهانهم من شبهات وعادات وتشويه متعمد لدينهم وتاريخهم إنزلق إليه الكثير في أجيال القرون الأخيرة بسبب نقص العلوم الشرعية الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لذلك رأيت أنه من المناسب والمفيد أن نعرض إلى هذين المعوقين الأساسيين لنرى واقع الحال من جهة ونستنهض الهمم لتحكيم شرع الله وسنة رسوله ﷺ من جهة أخرى حتى نتمكن من إبعاد السيئات وتركها وجلب الخيرات والطيبات والسير في الطريق المستقيم، ثم ندخل في بيان قدرة دين الإسلام على البقاء والانتشار رغم هذه المعوقات والإمكانيات الهائلة التي تبذل من أجلها ورغم العمل المضاد الذي تمارسه الهيئات النصرانية والمنحرفة ولم تفلح في جذب أحد إليها، رغم ما أشرنا إليه من إمكانيات تمتلكها وتنفقها ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

ولكني رأيت أن هذا الأمر سيأخذ حيزاً كبيراً فأحيل الأخوة القراء إلى مزيد من التفاصيل عن هذا في كتبنا الأخرى التي تتناول بشيء من التوسع هذه المعوقات ومنها كتابنا «دعوة صادقة إلى توبة صادقة» وكتابنا «بعض القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية واتجاهات النظام العالمي الجديد» وغيرها.

ملاحظة مهمة جداً!!!!

ومن المهم جداً قبل الدخول في عرض ما تمكنت بفضل الله وعونه من تجميعه ورصده عن ظاهرة انتشار الاسلام في أمريكا وأوربا بعد أحداث ١١ سبتمبر قبل ذلك أن نبيّن لمزيد من التوضيح حتى نزيل بعض الأوهام أو الخلط أو الإلتباس لدى من يتصوّر أو يفسر الأمور على هواه وليس حسب النظرة الواقعية للأمور إننا عندما نشير إلى «معالم الصحوة الإسلامية» و«مظاهر انتشار الإسلام» في أي بلد من البلدان الأوربية أو البلدان الإسلامية نفسها التي افتقدت مظاهر ومضمون الحكم بالإسلام لا نعني بالضرورة أن النظام هناك قد أصبح نظاماً إسلامياً كاملاً في تلك المناطق وأن الفتن والمصاعب قد زالت.. فهذا ظن وفهم خاطئ وقاصر للأمور في الوقت الذي نؤكد بيقين على حقيقة أنه مهما كانت المصاعب والمشكلات فإن الإسلام باق ومنتصر ولكن الفتن والابتلاءات والبلاء تترافق معه سنة الله التي فطر الناس والكون عليها.

الأثر العجيب للإسلام في القلوب والنفوس !!

لقد تكفل الله بحفظ دينه وهذه النماذج التي تدخل في دين الله أفواجاً وتلك المواكب من التائبين الصادقين وتلك القوافل الداعية إلى الله السائرة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور تثبت بما لا يجعل مجالاً للشك بل يقطع الشك باليقين، إن الإسلام دين الفطرة، دين يجذب الناس إليه بالحجة والدليل والبرهان ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦)، وليس بالسيف والعنف.

«الإسلام يميز بين الإرهاب الوحشي الهمجي الذي يخيف حياة الإنسان وكرامته ويحيل حياته إلى جحيم ودمار وبين إعداد القوة اللازمة للدفاع عن الدين والمجتمع، فالإسلام يدعوا إلى إتباع الوسائل اللينة والمرغبة والمشوقة وهناك فرق بين العنف والجهاد وفرق بين الاستعمار والفتوحات الإسلامية وفرق بين الاحتلال والاستئصال، وأن طريق الحوار السلمي خير من طريق العنف والإرغام فالإسلام يدعوا إلى نبذ العنف غير المبرر الذي لا يستقيم مع الحاجة إليه عند الاقتضاء ووفق حكم شرعي يستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فالإسلام يبّين الترابط الوثيق بين الإيمان والجهاد في حياة المسلم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

إن الإسلام دعوة سلمية محببة إلى النفوس والقلوب ورحمة بالعباد من رب العباد يربي العباد على التذلل بين يدي الله والخضوع والاستسلام لله والبكاء من

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر كتابي «بعض القضايا المعاصرة».

خشية الله والتسامح والطهر والزهد والخير والبناء والإصلاح وغيرها من الفضائل ولا مجال فيه للانتقام والأنانية والقهر ولا عدوان إلا على الظالمين ولقد تكفل الله بحفظ دينه هذه النماذج التي تدخل في دين الله أفواجا وتلك المواكب من التائبين الصادقين فيه ويرفع السيف فقط في وجه الظلم والطغيان ومحاولات الإعاقة والإفساد وهذا أيضاً رحمة بالعباد الذين يقعون ضحايا ظلم العباد الآخرين.

إن الإسلام هو الدين الحق الذي يحفظه الله جل جلاله، ولن تنطفئ أنواره، ولن تهدم منائره، ولن يندثر أبدا رغم ما تعرض ويتعرض له هنا أو هناك بين فترة وأخرى من مؤامرات وتدمير و محاولات اجتثاث ورغم كل المكائد الداخلية والخارجية من إثارة الفتن والحروب الأهلية إلى استخدام كل وسائل التحكم السياسي والاقتصادي ونهب الثروات والغزو الفكري ومضاعفة التخلف الاجتماعي مروراً بالمحاولات المستمرة لإضعاف ومحاصرة الإسلام والمسلمين إلى سيادة نزعة التحالف الاستراتيجي بين اليهود والنصارى ضد المسلمين إلى ممارسة أبشع طرق الإرهاب والتطرف من الإبادة الجماعية إلى أعمال الاستئصال الدموية برغم كل ذلك تضئ البشارات لتبدد ظلمة وظلام الظالمين في هذا العالم.

وتدل كل الإشارات على أن الإسلام يبقى وينضّر في الأرض كلها، ويظل مصدر إشعاع تقوم به الحجة البالغة يعيد ويحدث بعجب ما أحدثه في النفوس والقلوب من اثر وتغيير وفضيلة وجمال وقوة وأخوة وتعاون على البر والتقوى.

لقد أسلم أناس كثير قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر.. وهؤلاء الذين هداهم الله إلى اتباع دينه الحق هم رسل الإسلام إلى أهلهم وأقوامهم ومجتمعاتهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهناك نماذج أبلت بلاءاً حسناً وأتقنت عملها الدعوي العظيم وتهيأت لها سبل وإمكانيات، فستواصل بإذن الله دورها في تهيئة مجتمعاتها

لتقبل الإسلام والعمل به. وهذا دليل قاطع وحاسم على اولئك الذين يقولون اننا لم نستطع أن نقدم ديننا (للآخرين) ولكن شحة الإمكنيات والمعوقات التي ذكرت بعضها في هذا السياق وعدم قدرة الأنظمة التي تمتلك السفارات والمال والكادر على تقديم دينها وانصياعها لفتنة العصر أو ارتباط بعض أركانها بالمفاهيم التي غرسها العدو الخارجي أو بالافتتان عند البعض ببعض زينة الحياة الدنيا عند الغرب وعدم الانفتاح الى الحد المعقول لاستيعاب ما ندعوا إليه وعدم توفر الحصانة الإيمانية والفقه الشرعي لدى كثير من المسلمين مما يجعلهم عرضة للابتعاد عن دينهم وعدم قدرتهم على تقديم النموذج الذي يمكن الاقتداء به وعوامل أخرى كثيرة لكن تواصل دخول الناس من مختلف الجنسيات في الإسلام وأفواجاً في مناطق شتى من العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر دليل على حيوية وعظمة هذا الدين حجة الله في الارض وعلى أن المستقبل هو للإسلام ولن يضرنا من قاتلنا أو خذلنا ولو كان من جلدتنا وينطق بلساننا نسأل الله التوفيق والثبات.

obeikandl.com

إنها.. معجزة حقاً

إننا في هذا القرن أيضاً وبعد أحداث ١١ سبتمبر نجد ازدياد الداخلين في دين الله من جميع الجنسيات التي تجد نفسها وهويتها وملاذها وحصنها الحقيقي في اعتناق الإسلام الحنيف والعمل بتعاليمه وشريعته وإن هذا الدين هو الخاتم الذي نزل به الوحي الأمين على نبينا محمد ﷺ في الماضي والحاضر والمستقبل، والدليل على ذلك أن أعداء الإسلام منوا أنفسهم في مطلع القرن العشرين أنهم سيقضون على الإسلام وأن القرن لن ينصرم إلا وقد أطفؤا شعلة الإسلام ففي عام ١٩١٦م أعلن المنصِّر الشهير زويمر «أن الإسلام دين يحتضر وحين يتهاوى الهلال سيكون الصليب هو المنتصر» واعتبروا الإسلام هو الجبهة الأخيرة ويأبى الله إلا أن يتم نوره فلم ينصرم القرن العشرين الميلادي ويهل هذا القرن الـ٢١م إلا ونجد هذا الازدياد في عدد المسلمين الأمر الذي بهر الكفار والمتشككين، وتتجدد المعجزة القرآنية باستمرار لأن هذا الإسلام كما ذكرنا دين الله وليس فكرة أو نتاج فكرة عبقرية كما يحاول البعض أن يصورها أو مسايرة لأجواء تلك القرون ولجوء الإنسان إلى الأساطير والخرافات كما يدعي الكفار على اختلاف أشكالها وألوانهم قديمهم وحديثهم.

كما أن هذا الإسلام ليس ظاهرة مؤقتة أو نتيجة للقهر وعدم الديمقراطية أو نتيجة للتخلف المادي أو الأزمات الاقتصادية وسوء الأحوال المعيشية للناس فهو دين الله للناس جميعاً للفقراء والأغنياء، وهم كلهم سواء في هذا الدين ولهذا السبب وحده دخل الكثير في الإسلام كما سنرى في فصول هذا الكتاب إن شاء الله، وليس الإسلام ظاهرة محلية في هذا البلد أو ذاك أو هذه القارة أو تلك، وليس

الإسلام حدثاً سياسياً عابراً أو حزباً سياسياً ضيق ملوّث بالنظرية والعقلية والمسلكية التآمرية والتعصب الضيق الأفق والعلاقة الشخصية بقيادة هذا الحزب وتلك الجماعة وليس الإسلام ركناً في الإذاعة والتلفاز أو زاويةً لمشائخ إحدى الطرق أو عدداً من الكراسي في البرلمان أو صحيفةً واحدةً هنا أو هناك، ليس الإسلام فلسفةً ولا نظريةً ولا حدثاً إنتخابياً عابراً يزول بزوال مظاهر الحدث بل هو دين الله الحق الظاهر على الدين كله ولوكره المشركون ويبقى كذلك إلى ما شاء الله كما أخبر الصادق المصدوق النبي محمد ﷺ ولهذا فنحن علي يقين لا يتزحزح وإذا تزحزحت الجبال لا ولن يتزحزح ونحن على قناعة ثابتة وراسخة أدركها المسلمون الأوائل وندركها نحن جيل القرن الحادي والعشرين الميلادي وستدركها الأجيال القادمة إلى يوم نؤمن به قال عنه الرسول ﷺ فيما رواه أبى هريرة ﷺ: **«أن الله يبعث ريحاً طيبة من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته وفي رواية مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته»**[1].

وفيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما نزلت ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ قالت: «ظننت أن ذلك تاماً» فقال رسول الله ﷺ: **«إنه سيكون في ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتتوفى كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه وعلى هؤلاء تقوم القيامة فهم شرار الناس»**.

وكما روى لنا عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ الذي دلنا جزاه الله عن أمته كل خير على طريق الخير لننهل منه ونغتنم الفرصة في الحياة الدنيا وحذرنا من كل ضرر وشر حتى نعيش حياة طيبة ونزحزح عن النار وندخل الجنة برحمة الله.

---

(١) انظر كتاب «اشراط الساعة» و«كتاب علامات الساعة».

إن حفظ الله لدينه وكتابه مع المعجزة المتجددة باقية خالدة تتجلى أمامنا اليوم في ذلك التدفق المستمر لهذه الأفواج يوماً بعد يوم للدخول في دين الإسلام.. تتجلى في التدفق المستمر لهذه الأفواج التائبة العائدة إلى الله التي تحدثت عنها الصحف والمنابر والأقمار الصناعية يوما بعد يوم ولا تتوقف حتى كتابة هذه الأسطر بل تزيد تماماً كما وصفها خالقها عز وجل في قوله: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ (النصر: ٢)، لأنه عز وجل أكد في محكم كتابه العزيز ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، وسوف تجد في فصل آخر بعض شهادات منصفة لنماذج عاقلة من أنحاء العالم ولكني أسبق الفصل هنا بشهادة ذات دلالات للمفكر الغربي توماس كارليل وهو النقيض الكامل لتوماس فريدمان فكارليل يقول: «خرجت رعاة الأمس (يقصد المسلمين) تقتحم الأرض شرقاً وغرباً وتفتح بأسم الدين الجديد وفي خلال قرن واحد من الزمان قضت على القوى العظمى وملكت الأرض من تحت أرجلهم إنها معجزة.. ولولا إنها حقيقة لقلت إنها خرافة أو خيال!! لقد كانت صيحة النبي محمد أشبه ما تكون بشرارة ملتهبة وقعت لا على كثبان كسولة من رمال الصحراء ولكن على جبال من البارود الذي تفجر مرة واحدة فعم نوره الأفاق من هضاب الهند إلى سهول الأندلس لقد كان العرب اذل الناس فصاروا سادة الناس وكانوا أضيّع الناس فصاروا أخيرهم خلقا وعلما وفهما وكانوا أشدهم فرقة وشتاتا فكونوا امبراطورية لم يخرج لها التاريخ مثيلا او شبيها وماكان هذا الا بالدين الذي اعتنقوه والرسالة التي حملوها..».

إنها معجزة حقاً.. أبرز أدلتها أن أحداً في دنيانا هذه رغم كل وسائل الاتصال والتوثيق لم يسمع بأفواج الناس تترك الإسلام تعتنق (اليهودية) أو تعتنق

(النصرانية) لم نسمع بأفواج من الناس تترك المساجد وتتجه إلى أبواب (المعابد)، (والكنائس) بل على العكس تماماً سمعنا ولازلنا.. ورأينا ولازلنا أفواجاً من الناس يدخلون في الإسلام ويبنون المساجد بهمه ونشاط بل ويترك النصارى لهم الكنائس لتصبح مساجد يعبد فيها الله عز وجل.. وهؤلاء جميعاً في عصرنا الحديث لم يرفع في وجوههم السيف أو أي وسيلة من وسائل الإجبار والإرغام وهذه هي من عظمة الإسلام وإن كثيراً من المحاولات الاستعمارية للتنصير قد باءت بالفشل بسبب الجهد الذي بذل من قبل الدعاة والعلماء الأخيار فكم حاول المنصرون أن يستعمروا الناس وكم من الجهود بذلت وأقاموا مدارس مثل البادري والمدارس والمعاهد الإنجليزية وبنوا الكنائس وذهبوا إلى المستشفيات لإقامة حفلات التنصير وكانوا يأتون بالنساء الحسناوات ليجذبن الرجال من أجل الدخول في النصرانية ومع ذلك فشلوا.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تعد بالمئات وتحتاج إلى كتاب منفصل بإذن الله عن هذه المسألة الهامة في العالم الإسلامي.

إن الترابط وثيق بين الإيمان والجهاد ولا جهاد في حياة المسلم ولابد من الاستمرار والقيام بالأمرين معاً هو المطلوب فلا إيمان بدون جهاد ولاجهاد بدون إيمان فالإيمان بدون جهاد يعرض المؤمن للأذى والاضطهاد والجهاد بدون إيمان يحول الجهاد إلى مغامرات وفساد وفتن نسأل الله أن ينجينا ويجنبنا إياها ويهدينا السبيل السوي كما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام الذين قال عنهم ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (التوبة: ٨٨، ٨٩).

إن الإسلام هو دين الرحمة والتسامح والعدل والأمن والطمأنينة للبشرية كلها كما قال الله تعالى في كتابة الكريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف: ١٥٨).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ولم يأمره بالغلظة إلا في موضع محدد قدره الله فعز من قائل كريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣).

ولقد جذب الجهاد دائماً في كل عصر كثيرين إلى الإسلام وسنعرض في هذه السلسلة إلى عدد من النماذج الإيمانية كان في الجهاد سبيلها وعبرتها إلى الإيمان الحق فكما ذكرنا إن البعض دخل الإسلام عن طريق آيه أو حديث أو درس وعبره والبعض دخل الإسلام عن طريق الجهاد الإسلامي الذي يشع في مناطق متعددة من العالم فالجهاد فريضة لها أثرها ونتائجها وكراماتهاوابرز كرامتها الهداية إلى الإيمان إذا أنعم الله به على من يشاء من عباده.

وقد حدث في عصرنا أن كان الجهاد سبيلاً لدخول جنرالات وضباط ومهندسين وأطباء خلال المعركة البطولية في مواجهة الجيش الأحمر أثبتتها بالتفصيل في المجلد (المعجزة المتجددة) الذي صدر عن دار الأندلس الخضراء في جده والحمد لله ويسعدني أن اثبت هنا بعد أحداث ١١ سبتمبر خاصة أن النماذج البطولية الاستشهادية سواء أكان ما نسب إلى بعض الشباب المسلمين في أمريكا أو ما يجسده الاستشهاديين في فلسطين اليوم قد بهرت الغربيين كثيراً وكثيراً وكثيراً

فعلى عكس ما كان يتوقع الإعلام اليهودي والصليبي الحاقد من تشويه هذه النماذج ووصمها بالتطرف والإرهاب على العكس من ذلك جذبت التضحية بالنفس الغالية أنظار الشعوب هناك سواء من حيث إنعاش التساؤلات الذاتية عن سبب التضحية بهذه النفس! ولماذا يكرهون السياسة الأمريكية إلى هذا الحد؟ والبحث في جذور الظاهرة وعمق الظلم الأمريكي العالمي أو لجهة انبهار تلك الشعوب بالظاهرة البطولية الخارقة للعادة فالغرب يعجب بنماذج خيالية خارقة للعادة مثل السوبرمان ورامبو وجيمس بوند والكاوبوي وهي شخصيات خيالية من إنتاج العقل السينمائي اللاهي فإذا به أشد عجباً وانبهاراً بهذه البطولات الحيّة في الواقع الخارقة للعادات والتي أبدت شجاعة نادرة جدا في عصرنا إلى حد أن الأم والأب والعائلة تقيم حفلاً توديعياً للمستشهد قبل استشهاده ويمتد هذا إلى البنات والأخوات الاستشهاديات أيضاً بل ويمتد إلى غير المتدينين في المجتمع الذي يعاني من الظلم والطغيان لقد وصف أحد الأخوة من داخل فلسطين الأحوال في الأرض المباركة أرض الأقصى الشريف أرض الرباط والجهاد فقال: «نحن في خير ونعمة لم نعرفهما منذ زمن طويل.

الانتفاضة ردت الشعب إلى قيمة الأصيلة التي كانت قد أوشكت أن تضيع في غمرة الافتتان بالمال والسلطة والتقليد الأعمى لقيم غريبة علينا.

عاد الناس مع الإنتفاضة، وتصاعد حدة المقاومة إلى التلاحم المتراحم بعد أن كان كل إنسان مشغولاً بنفسه ولا عليه من سواه. الاستشهاد اليومي علم الناس العطاء، فأصبح من مألوفات حياتنا أن يدق باب البيت فيكون الطارق جار جاء يقدم طعاماً أو فاكهة أو دواء أو حليب أطفال، أو شيئاً مما يحتاجه الناس، يزعم أنه فاض عن حاجته، والحقيقة أنه يأخذ من قوته ويحرم نفسه ليعطي جيرانه!.

البيوت تهدم بما فيها من متاع غال أو رخيص، فيتقدم الذين لم تهدم بيوتهم بعد لإيواء إخوانهم (سواد الليل) فإذا صُلّي الفجر كانوا في الموقع الذي هدم فيه بيت مع أول ضوء للنهار، يزيلون الأنقاض بأيديهم ويقيمون خيمة أو خياماً لأصحاب البيت المهدوم حتى لا يتركوا أرضهم خالية للعدو الصهيوني! ويرتفع الشهيد، فتجزع أم ثكلى، أو تفزع من منظره وهو مضرج بدمائه أرملة شابة، أو تبكي وتصرخ صغيرة لم تزل بأبيها معجبة، ثم لا يلبث المعزون أن يجتمعوا فإذا الجزع يصبح صبراً، وإذا الفزع يصبح شجاعة فائقة وطمأنينة سابغة، وإذا الصراخ والبكاء يصبحان زغاريد وابتسامات، ويتحول مجلس العزاء إلى مناسبة للفخر بالشهداء والمباهاة بهم والدعاء لهم ولأهاليهم.

وترى الناس يشيعون الشهيد وهم مئات متراصون، فإذا سلكوا طريق العودة رأيتهم يمشون جماعات صغيرة، وقد عرف الناس أنك إذا رأيت رجلين أو ثلاثة يدور بينهم حديث هامس فاعلم أن حدثاً مؤلماً للعدو في طريقه إلى الوقوع، أو أن ترتيباً لرعاية أسرة شهيد يتم تدبيره، أو أن زيجة جديدة على وشك التمام، فليس لناس في بلادنا المحتلة شاغل إلا المقاومة وما يقويها ويشد من أزرها ويعين القائمين بها.

في الليل، كل ليلة، مع حظر التجوال الذي أصبح شبه دائم في مدن وقرى كثيرة، تعود المراقبون أن يروا بعض البيوت مضاءه أكثر من المعتاد، وهذه علامة على أن هناك حفل زفاف ستقوم به أسرة فلسطينية جديدة، والفلسطينيون يفرحون بذلك فرحاً غامراً، لا لأن الفتاة زفت ولا لأن الفتى تزوج، ولكن لأن أملاً في مزيد من السلاح الذي لا ينفد قد انفتح بابه: بنين وبنات أحلى أمانيهم وهم في حجور الأمهات والجدات أن يشبوا ليموتوا فداء هذا الدين ولهذه البقعة المقدسة إن لم يستطيعوا العيش فيها عيشاً حراً كريماً.

الدواء في فلسطين عملة نادرة، والصيدليات معظمها مغلق بحكم حظر التجّول، والمستشفيات لا تجد مكاناً للجرحى من ضحايا العدوان الصهيوني والقصف اليومي للبيوت والمخيمات والقرى التي كانت آمنة فلجأ الناس إلى التداوي بالنباتات المختلفة وأثرها الطبي، ولكن هؤلاء لم يتخذوا علمهم أو بضاعتهم تجارة وإنما اعتبروها واجبهم في المقاومة أن يعينوا الناس في مواجهة المرض وآلامه لوجه الله ثم خدمة للوطن، فإذا دخلت مجلساً فوجدت رجلاً جالساً إلى جداره بجواره لفافة من القماش أو بعض الأكياس. فسترى بعد قليل من يأتيه ويهمس في أذنه بكلام يخرج الرجل بعده بعض ما معه ويعطيه إياه. هذا هو الطبيب البدوي أو الفلاح يؤم مسجد القرية أو المدينة طوال النهار وزلفاً من الليل يطلب المثوبة بتقديم الدواء لمن يحتاج إليه.

لا تخف علينا، الخوف كله على أولئك الذين يقول كل منهم ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ (هود: ٤٣).

ولن يجدوا عاصماً ليس أمام هذا الطوفان الصهيوني إلا سَدَّ المقاومة وهو - بفضل الله - ثابت لا يهتز ولا يتزعزع، وإن بدا أن لبنة منه تريد أن تنقض أو تتصدع تداعت لها سائر أجزائه تقويها وتحميها ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥)[١].

لذلك كانت هذه الظاهرة تأخذ ألباب الأوربيين أيضاً ويسرون بإعجابهم الشديد بهذه القنابل البشرية التي حطمت كل ما وصل إليه العلم الحديث من إنتاج آلات التخويف والدمار وفي سبيل قضية عادلة وكانت هذه النماذج الجهادية

---

(١) هذا الحديث الصادق لأحد الأخوة في مكالمة هاتفية مع الدكتور الفاضل سليم العوا نشره في صحيفة الأسبوع المصرية العدد ٢٨٤ - ٣جمادى الآخر ١٤٢٣هـ ١٢ أغسطس ٢٠٠٢م.

وراء إسلام عدد كبير من الناس بعد أحداث ١١ سبتمبر ووسط انتفاضة الشعب الفلسطيني المسلم في مواجهة الحلف الإرهابي العالمي وقد بدأ بحث جديد[١] حول ظاهرة صمود المسلمين في وجه القوى العاتية رغم عدم وجود السلاح في أيديهم ورغم مطاردة بعض الأنظمة والسلطات ورغم غياب النصرة والدفاع ورغم العقوبات البربرية لأهلهم وهدم بيوتهم والقتل والسلب والنهب والتشريد ورغم طول المدة واستمرار الضغط والتجويع والترويع وكيف يبيع الإنسان المسلم حياته في سبيل عزته ودفاعاً عن عقيدته ودينه ومقدساته وكيف تزغرد الأمهات في أعراس الاستشهاد وتقدم الأسر فلذات أكبادها لينالوا شرف السبق إلى الجنة بإذن الله في حين أشد الناس تمسكاً بعقيدتهم فيما يزعمون من أمثال اليهود يخافون ومن أشد الناس حرصاً على الحياة وأكثر استمساكاً بالدنيا مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة: ٩٦).

وكم هو مثير منظر الأب يوزع الحلوي في استشهاد ابنه أو ابنته ويطلب التهنئة لا التعزية لأن الشهيد حي يرزق عند الذي لا يخلف الميعاد جل جلاله ثقة بصدق وعد الله العظيم، كل هذا والإسلام وحده في الميدان مخلفاً المتخاذلين والمرتعشين الذين بيدهم السلاح والأموال وينتصر بالفئة القليلة وبالعصبة المجرّدة من كل متاع الدنيا إلا من إيمانها وعزائمها ونواياها الصالحة واستعداداتها للتضحية ورغبتها في ما عند الله من الأجر العظيم وقد عوّدنا الإسلام أنه الدين الذي لا يعرف الهزيمة ولا التولي عند الزحف أليس هذا الإسلام لافتا للنظر ويستدعي التأمل ويغري بالاعتناق؟؟ أليست هذه جاذبية تحتضن كل حائر وكل محب للعزة والبطولة اللهم

(١) أشار د. توفيق الراعي حفظه الله الى البحث الذي بدء حول ظاهرة الاستشهاديين في مقاله «الإسلام الفاتح وأصدقاؤه الجدد».

نعم وسيفرح المؤمنون بنصر الله وإن إدخال عباد آخرين في دين الله من النعم العظيمة لصاحبها وصفها النبي ﷺ: «**لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها**»، وفي رواية أخرى: «**خير لك من حمر النعم**»، ولك من عمله الصالح بما لا ينقص من أجره شيئاً وقال الرسول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**».

أي أن الإسلام دين الله الحق الذي يحفظه هو ولن تنطفئ أنواره ولن تهدم منائره ولن يندثر أبداً رغم ما يتعرض له هنا أو هناك وبين فتره وأخرى من فتن ومؤامرات وتدمير ومحاولات اجتثاث ولكنه يبقى وينضر في الأرض بأكملها ويظل مصدر إشعاع تقوم به الحجة البالغة وتظل فريضة الجهاد بمعانيها السامية العظيمة رحمه للعباد من ظلم الظالمين فالجهاد باق إلى يوم القيامة كما أخبر النبي ﷺ وعن هذا يقول ﷺ: «**لتملأن الأرض جوراً وظلماً وعدواناً فيخرج رجل من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً**» وروى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن الرسول ﷺ قوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**».

وأخرج البخاري ومسلم عن الرسول ﷺ قوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»، أي أن هذا الدين لن تنطفئ أنواره ولن تهدم منائره في الأرض بأكملها فيبقى مصدر إشعاع تقوم به الحجة كما جاء في أحاديث أخرى عن الرسول ﷺ: «**لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجه**»، هؤلاء القائمون بحجه الله ودين الله في الناس هم هذه الطائفة الذي يسخرهم الله تعالى ويجري على أيديهم (التجديد) في جوانب مختلفة، فمنهم من يجدد في أمر (العلم) ومنهم من يجدد في أمر (العبادة) ومنهم من يجد- في أمر (السياسة) ومنهم من يجدد

في أمر (الافتصاد) ومنهم من يجدد في أمر (التربية) ومنهم من يجدد في أمر (الجهاد). وهكذا كل يجدد على يديه ما يسر الله له من ميادين التجديد الجزئية أو الشاملة المقصورة على أرض أو التي تمتد إلى أرض أخرى وهكذا يحفظ الله الدين في الأرض لأن محمداً رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين لا رسول بعده ولا نبي بعده، وإنما (العلماء هم ورثه الأنبياء) وقد جاء الرسول ﷺ بالدين الحق والرسالة الختامية والمحجة البيضاء ليلها كنهارها ولم يبعث بالجيوش والأموال وإنما بعث بالحق والهدى ومؤيداً من الله سبحانه وتعالى فغير الله به وجه الأرض وتساقطت الجاهلية والإمبراطورية الظالمة الغربية والروسية والرومانية والهندية فأشرق على الأرض نور الإسلام.

ومن الناحية العلمية فالواقع شاهد لا يكذبه أحد فقد كانت الدولة الإسلامية في عصورها الذهبية ممتدة رقعتها من بلاد الصين شرقاً إلى جبال أسبانيا غرباً، وكان البحر المتوسط بحيرة إسلامية تخفق الراية الإسلامية على ممالكه.

وكانت هذه الولايات المختلفة تضم أمماً متباينة الأجناس والعادات والأديان والمصالح من عرب وفرس وروم.

أعظم مظاهر الصحوة الإسلامية المعاصرة بعد هزيمة الجيش الأحمر وبعد أحداث ١١ سبتمبر!!

إن المظاهر المزعومة في أمريكا والغرب الأوربي - بغياب النموذج الإسلامي في عصرنا - قد جذبت أنظار المفتونين والجهلة إليها واعتقدوا إنها النموذج الوحيد الصحيح للحرية والعدل وباشتداد الحملة الإعلامية والدعائية لمحاربة الإسلام وتشويهه أصبح لِزاماً على دعاة الإسلام وعلماء الإسلام وحكام المسلمين بيان وتجسيد حقيقة وجوهر الإسلام وتقديمه مرة أخرى للأجيال والعالم بأسره كما أنزله الله صافياً نقياً صالحاً لقيادة الناس إلى الخير والسعاده في الدارين.

ولقد شهد هذا الجيل المعاصر لـ القرن ٢١ الميلادي آية عظيمة من آيات الله ومعجزاته المتجددة وهي الإخفاق والفشل والانهيار الذي وصلت إليه الفكرة الاشتراكية الملحدة التي أقامت نظاماً ديكتاتورياً عليها طوال أكثر من ٧٠ عاماً على سدس الكرة الأرضية ووعدت الناس بجنة الفردوس على الأرض ولم تحقق شيئاً سوى مزيد من التدمير والفقر والفوضى وإساءة الأمانة فكان انهيار هذه النظرية وسقوط أنظمتها وتهاوي أصنام قادتها ومنظريها التي نصبت في الميادين والساحات العامة في العالم ككل والدوس عليها بالأقدام ومحاكمة الأسماء البارزة لها في الاتحاد السوفيتي وأوربا من الخزي الذي منيت به في الحياة الدنيا قبل الآخرة إلا من صحا وتاب وثاب إلى رشده وأناب واسترجع فطرته الإنسانية وأقلع عن الفكرة الخاطئة الملحدة وتبرأت من حزبها الشرير وانضم إلى مواكب الخير الإسلامية، ونظراً إلى غياب النموذج الإسلامي عن الساحة الدولية كما ذكرنا بشكل دوله قائمه به حتى الآن تطبقه على نحو صحيح ومتكامل جعلت بعض

الناس يفرون مرة أخرى إلى أحضان النظام الرأسمالي الذي فروا منه في بادئ الأمر وحاربوه وكشفوا عيوبه ومساوئه ووقعوا في خطأ جديد وانتقلوا من «ضلال» إلى «ضلال» وعلى سبيل المثال فإن الله جل وعلا قد حرم الربا وأعلن الحرب على من يمارسه وما أخطرها من حرب وحرم الزنا والسرقة والرشوة والاستغلال والغش والمحسوبيه والإسراف والتبذير والتلاعب بالأسعار والاحتكار وتطفيف الكيل والميزان وكثرة الحلف وشراء المنهوب والمسروق وغيرها من الآفات والجرائم وبيّن طرق تجنبها والعقوبات عليها في الدنيا والآخرة ويسّر الله لهذا الدين من العلماء من قام ببيان كل الحلال والحرام في كل شأن من شؤون الحياة ومنها مجال الاقتصاد والتجارة واستنبط من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أسس الحياة الطيبة في ميدان الإنتاج والاستثمار والتأمين وغيره لإخراج الأمة الإسلامية من التبعية والتخبط الذي تعاني منه اقتصادياتها الأمر الذي يكرس مزيدا من التخلف والمزيد من الفقر والمزيد من التأخر والنكبات المادية والاجتماعية وقلة الكادر لأن البلدان الرأسمالية تقوم باستنزاف المواد الخام وخيرات هذه البلدان وثرواتها الوطنية والثمرات التي رزقها الله إياها في باطن الأرض وأعماق البحار وفي جوف الجبال والسهول والوديان ونهبها وإعطاء قادة هذه البلدان واتباعهم بعض الفتات على مائدتهم بينما هي تستأثر بكل الإنتاج الغالي وتفتح أسواق بلداننا للإستهلاك واسترداد ما قدمته أن قدمت شيئاً.

كما تحكم سيطرتها واحتكارها على البلاد وتقوض سيادة واستقلال شعوبنا من خلال الديون والقروض والبنوك الربوية والاتفاقيات وإرسال الخبراء والجيوش والخبراء في المجالات الفنية والعسكرية والزراعية والإدارية والنفطية وغيرها وتحرم شعوبنا من خيرات أرضنا كما تمنع عليه السير في طريق التقدم

العلمي والتكنولوجي الاقتصادي والعسكري وتمنع الإنتاج في الصناعات الثقيلة والمتوسطة وتكتفي ببعض الصناعات الخفيفة وبشكل محدود ليبقى السوق المحلي تابعا لها وتبعده عن العلوم الحديثة وعن إقامة المعاهد والجامعات وإن حدث وإن أقامت المباني أفسدت المناهج التعليمية والتربوية في إطار خطط التجهيل والإفساد في هذه البلدان لتظل محتاجة تمد أيديها إلى البلدان الرأسمالية لتتسول القمح والقلم والإبرة والرصاصة وما هو أصغر وأكبر من ذلك فتظل مستعبدة ومستعمرة وعاجزة عن النهوض والتقدم لاستعادة مكانتها الدولية، ولكن رغم معوقات وتقصير عمل المسلمين الكثيرة الداخلية والخارجية فإن الحق والهدى والنور سيشع على الأرض بقدر من الله سبحانه وتعالى الذي أرتضى الإسلام لجميع خلقه طوعاً وكرهاً ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ وتكفل بحفظه فقال: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فسيهيئ الأسباب ويسخر العباد ويقوم الجهاد علي يد من يشاء ويختار ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ لاستعادة زمام قيادة البشرية وإخراجها مما وصلت إليه من التخبط والضلال والظلام إلى الهدى والحق والنور تحقيقا لتلك البشارات الوارد في القرآن الكريم والسنة المطهرة وهي لاشك واقعة لا محالة بإذن الله ﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٦)، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (الفتح: ٢٨)، فإن النجاة من هذه الاضطرابات التي تتخبط فيها البشرية اليوم هو تلقي الهدى من الله الخالق جل وعلا وإن دين الإسلام هو الدين الحق وتكفل وضمن الله حفظه صحيحا دائماً إلى ما شاء الله وقال سبحانه عنه في محكم التنزيل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وقد قيض الله للإسلام رجالاً صادقين وعلماء عاملين وقفوا في مواجهة الغزو الفكري

وتصدوا له وجلوا حقيقة المؤامرة الاستعمارية وناقشوا الفكر الغريب الوافد من أساسه وضحوا في سبيل الحق وبينوا للمخدوعين أن الإسلام يختلف عن الاديان المحرفة الباطلة وأن الإسلام هو دين العلم وصالح لكل زمان ومكان إلى ما شاء الله وأن العلم الحق يقود إلى الإيمان الحق وأن العلم الحق يصدق كل ما جاء به القرآن والسنة، وإن الإسلام يحرر البشرية ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهدي الى الجنة ويبعد عن النار على عكس الأديان السابقة المحرفة.

وبين علماء الإسلام الكثير من كنوز القرآن والسنة وأن الله الحق جل وعلا هو الخالق المالك المتصرف وهو وحده الذي يشرع للناس الهدى وهو أعلم بشؤنهم ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، وهو وحده صاحب الأمر والنهي وهو رب العالمين لا ينحاز لطبقه دون أخرى ولا لشعب دون آخر ولا لأمة دون أخرى ولا لفرد دون آخر ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وهو الذي أكمل الدين كله بدون قصور أو نقصان تعالى عن ذلك علوا كبير.

وبين علماء الإسلام أن مناهج البشرية والأنظمة والقوانين الوضعية قاصرة وجاهله وظالمه لأن واضعيها بشر قاصرون وظالمون لا يعلمون غيب المستقبل وليس بيدهم شيء من مقاليد الأمور فما أن تطبق مناهجهم فترة بسيطة من الزمن حتى يضج الناس وتظهر المعارضات ويتضح باطلها وتنكشف سوءتها فيتنادى الناس إلى إنكارها وإبطالها وتغييرها فتضطر الحكومات إلى تغيير قوانينها ومناهجها التي وضعوها بأيديهم ومجدوها واعتقدوا أنها وصلت الكمال وأنها الحل والمخرج للبشريه من مأزقها ومشاكلها فيقعون في مشاكل ومعضلات أشد ويتخبطون بحثاً عن مخارج وقوانين وتضيع الجهود والدماء والتضحيات والإمكانات التي بذلت لحماية تلك الأنظمه والقوانين السابقة وتصاب المجتمعات بهزات تلو

هزات وتاريخ الباطل يوضح إنتقال الناس من حكم الإقطاع إلى حكم الرأسمالية وما أحدثته من هزات ثم ظهور الشيوعية والاشتراكية كبديل للرأسمالية وما أحدثته من هزات وجرائم ومآس إمتلأت لها القلوب حقداً وكمداً وظلماً وقهراً، واليوم نشهد أنهيار الشيوعية والإشتراكية التي التحفت برداء التقدمية وشعاراتها ولم تكن سوى حركات تخريب وهدم ودمار وتخلف وتصادم مع الفطره الإنسانية وأضحى مآلها إلى الزوال ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧).

وما يحدثه في العالم هذا السقوط الزلزالي المريع للإشتراكية والشيوعية وما أعقبه من تخبط في البحث عن النظام العالمي الجديد الذي يكون المخرج من مأساة البشريه وقد بدأت بعض آثاره ونتائجه تظهر بظلم أشد ومالم تسر البشرية على منهج الله السوي القويم فستقع في مأساة أخرى فهذه البشريه كانت ولازالت في غنى عن هذا التخبط والاضطراب والضلال لو أنها أهتدت الى تطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق العقيدة الإسلامية لأن هذا الطريق قد إرتضاه الله لبني آدم منذ أن شاء فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وإن عثر الإنسان أو زل في هذا الطريق فباب التوبة الصادقة مفتوح قال عز وجل: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ فلو استقامت البشرية على منهج الله لأنقذت نفسها من الضلال ولحلت البركة والخير والأمن ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

إن أعداء الإسلام من يهود وصليبيين وملاحدة ووثنيين وأتباعهم ما قَرَّ لهم قرار حتى مزقوا بلادنا وشطروا وطننا فأصبحت أمة الإسلام الواحدة دويلات

متعددة تفصل بينها حدود وضعها أعداءها بل أصبح الوطن الواحد عدة أجزاء مما يسر على أعداء الإسلام غزو وأحتلال بلاد الإسلام عسكرياً ثم فكرياً وسياسياً واقتصادياً وتربوياً فإذا أردنا التحررمن أغلال غزو الأعداء فلابد أن ننبذ الفرقة التى حرّمها الله على المؤمنين ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ (آل عمران: ١٠٥)، بل إن الله أمر نبيه ﷺ أن يتبرأ من أنصار الفرقة وأعداء الوحدة ودعاة التشطير و الانقسام ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

ولقد أمر الله المسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً وأن يكونوا كالبنيان المرصوص وحذّرهم من الفرقة والاختلاف والنصوص والتوجيهات في هذا كثيرة، ثم إن الإسلام وحد بين الأجناس واللغات والبيئات والحضارات، وأذاب النعرات وتآخى في ظله الإنسان مع أخيه الإنسان وعانى المسلمون من التمزق والفرقة وما لا يحتاج إلى الشرح، أما عالمنا اليوم وهو عالم تقاربت فيه الحدود الزمانية والمكانية وشهد الناس فيه ميلاد دول عملاقة لا تسمح للدول الصغرى بالعيش في أمان وسلام، الأمر الذي يشبه الأسماك الصغيرة مع الأسماك الكبيرة التى تبتلعها، وها نحن على أبواب ميلاد جديد لدولة أوربية واحدة على الرغم من الإختلاف الذي بينهم.

إن عالمنا اليوم لا يسمح ببقاء الدول الضعيفة أمام التكتلات الضخمة والعصمة للمسلمين في عالمنا اليوم لا تكون إلا بالوحدة بأن تكون الكلمة واحدة والصف واحد وأن تجمع الجهود لتشييد دولة الإسلام مرة أخرى، فلقد فطن أعداء الإسلام إلى أهميه الوحده وأثرها وكونها العصمة للمسلمين من المؤامرات والفتن فشنوا حرباً شعواء على الرابطة التى تجمع المسلمين ليكون المسلمون بغير

رابطة تجمعهم كما شنوا حروباً سياسية ومادية على كيانات المسلمين لتمنع اجتماعها ووحدتها، ولقد كان من وسائلهم في ذلك تشكيل نوع من الوحده المنفرة للنفوس التى لا يجتهد المسلمون في تكرارها مره أخرى وحتى يبقى الكيان ممزقاً وموزعاً وعلى سبيل المثال «الوحده المصرية السورية» و«الوحدات التي حاولها النظام الليبي مع جيرانه عدة مرات وفشلت» «وتجربة الوحده اليمنية ومحاولة اجهاضها وفصلها مرة أخرى وفشلت المحاولة ولازالت تتعرض الوحدة لمزيد من محاولات التفكيك والإفشال» وغيرها من التجارب الوحدوية.

والأصل أن الوحده في الإسلام فريضة من الفرائض وحكم من أحكامه الشرعيه فللمسلمين رب واحد ودين واحد وقبلة واحده وشرعة واحده ومنهج قرآني واحد ودعوة واحده وواجب أمرهم به لله فقال عز من قائل كريم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ فهي وصية من الله لعباده المؤمنين فهو الذي خلقهم وأعلم بشئونهم ولماذا خلقهم ولماذا يعيشون على هذا الكوكب من كواكب الله العظيمة التي لا تعد ولا ترى وبين الخالق العظيم للمؤمنين ولكل خلقة أيضاً لماذا يحيون ولماذا يموتون؟؟ لماذا ينتقلون إلى الدار الآخرة وما فيها؟ فبشّر الإنسان المؤمن بالخلود النهائي في الجنة وبشر الإنسان الكافر إذا لم يتلاحق نفسه ويتوب قبل الغرغرة بالخلود في النار، ومن أجل هذا الهدف النهائي حدد الطريق المستقيم والنظام الذي يصلح أمر الإنسان ودعاه إلى عدم الإفساد والعبث في خلق الله من حوله وبين للإنسان في ختم الرسالة على يد النبي محمد ﷺ الذي أوحى إليه القرآن الكريم وكرمه بالسنه المطهره ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣، ٤)، وهدى إلى كل خير وضمنه وحذر من كل شر وخطر وأعطاه الهدى والنور والحق الذي يؤهله لقيادة البشرية في الطريق الصحيح والسوى فملك

المسلم بذلك الإرشاد الالهي والمعجزة المتجددة إلى يومنا هذا لذلك لا يحتاج المسلم إلى أحزاب عقائديه لأنه يملك عقيدة الإسلام ولا يحتاج إلى أحزاب تشريعيه تضع له الحلال والحرام لأن هذا التشريع هو حق لله وحده لا شريك له ﴿أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ والحكم في الإسلام عبادة من العبادات وهو أعدل حكم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ وعلى هذا فالمسلمون حزب واحد هو حزب الله المذكور في القرآن الكريم كلام الله القائل: ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ وكلام الله هو محل الاعتصام والروابط الأخرى تأتي تبعاً لذلك، فالوحدة في ظل الإسلام هي توثيق للأخوة في دين الله بين المؤمنين وتعاون المسلمين على الاعتصام بحبل الله وعلى البر والتقوى وتحقيق الولاء والنصرة لعباد الله وتحقيق التفاعل بين المسلمين بما يجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وحاجة الأمة إلى الوحدة أكثر ازدياداً الآن فهي ضرورة شرعيه لإنقاذ المسلمين من الاستعباد والمطامع التي صارت تشكل خطراً جسيماً على الأمة الإسلامية.

ولقد أدركت الدنيا بأسرها أنه لا تماسك لهذه الأمة ولا توحد لها إلا بالإسلام فمن العبث الاعتقاد بأن تستقيم الأمور بدون الإسلام، فقد يكسب الباطل جولة أو جولتين وقد يقهر جيلاً أو جيلين ولكنه لن يقدر على قهر إرادة الأمة إلى الأبد فالإسلام هو سفينة النجاة في هذا العصر وكل عصر ولن يستطيع أي حكم أن يحقق لنفسه الثبات إلا إذا التزم بالإسلام وفجّر في قلب شعبه ينابيع الإيمان وأذكى في أعماقه الانتماء إلى الإسلام وقاد مسيرته على طريق الإسلام والجهاد وهذا هو الإطار الذي دار فيه الصراع بين الحق والباطل في العالم، ولازالت تدور معركه بعد أخرى وموقعه وجوله بعد أخرى، سنة الله ولاشك أن العاقبه للمتقين وأن الحق سيجيء لأن الباطل دائما كان زهوقاً، وقد وعد الله المؤمنين الصادقين باستخلافهم

في الأرض وبشرهم بالنصر المبين وقال عز من قائل كريم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وسنة الله مضت ولا تزال فقد أنفقوا الأموال وأحكموا الخطط ودبروا المكائد لإخراج جيل علماني لا ديني يحاولون على يده سحق الإسلام في المنطقة فأقاموا الجامعات بمناهج منحرفة وضعيفة ومحدودة وفرضوا الاختلاط وأقصوا الصادقين حملة القيم والأخلاق عن كل المراكز الحساسة وقربوا دعاة الإباحية والعلمانية والفساد ونصبوهم قضاة وساده وأقاموا حولهم الهالات ونفخوا في الأقزام حتى صوروهم عمالقة في أعين البسطاء والجهلة من عامة الناس ، ولم يستطيعوا إقصاء الإسلام نهائيا عن حياة الفرد والمجتمع والأسرة وحتى الدولة ، ولقد جنوا بعض الثمرة النكدة لجهودهم المضنية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

ورغم كل ما حدث من مآسٍ وآلام تحز في النفوس وتدمع لها العيون والقلوب وتشيب لها الرؤوس يقول بعض علماء الإسلام: «إن بعض حكامنا في البلدان العربية والإسلامية لا يقبلون فقط ليرضوا عنا أن نصمت بل ويطلبون منا أن نصدق كذبهم ونزين قبيحهم».

ورغم كل ذلك فإننا مفعمون بالإيمان فبرغم كل العنف والقهر والإرهاب والديكتاتوريات التي مورست طوال الحقبة الماضية لم تنطفئ شعلة الإسلام ولم يقض على العلماء والدعوة نهائيا بل تضيق وتنفرج ثم تتسع بتعبيرات مختلفة تمثل استمرارية نهوض وانتعاش المسلمين وحركاتهم ومنظماتهم وعلمائهم ودعاتهم وجهادهم فيقول المراقبون أن الإسلام لم تزده الفتن إلا اشتعالاً ولم يزده التعذيب إلا تضحية وفداءاً ولم تزده المحن إلا قوة وصلابة ولم يثن الإرهاب الناس عن قبول

الإسلام واستيعابه والدخول فيه بل زاد الإقبال على الإسلام وزاد انتشاره حتى في أوربا وأمريكا ومشارق الأرض ومغاربها دليلا على إن هذه الأمة لازالت تنجب بإذن الله أيادي الحق وألسنة الحق التي تدمر الباطل وتزهقه وتعيد باستمرار لهذا الدين مكانته وازدهاره ونصره بعد أن كاد الإحباط يصيب قسماً واسعاً من الناس فرأوا العلماء في اليمن وأفغانستان وعموم جزيرة العرب وبلاد العرب والمسلمين في المشرق والمغرب ورأوا على وجه أخص أولئك المجاهدين في فلسطين يرفعون راية التوحيد «**لا اله إلا الله.. محمد رسول الله**» يلتف حولهم المسلمون صغاراً وكباراً نساء ورجالاً يحملون المقلاع والحجر والخنجر والحزام الناسف.. في عصر الأر. بي. جي والستنجر وتمكنوا في جنين الصامدة أن يقاوموا ويذهلوا العالم أكثر من ٢٠ يوماً أمام أضخم آلة عدوانية عالمية بينما لم تصمد في ١٩٦٧م أربع دوّل عربية ٦ ساعات وأعلنت هزيمتها كما ضُربت أم قصر والناصرية مثلاً في الصمود ٢٠ يوماً تاريخية في مواجة العدوان الهمجي البربري للحلف الإرهابي العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وهذا يعطي القدوة العملية والانطلاقة للمسلمين في هذا العصر فوجد العلماء الذين أنتقلوا بعلم الإسلام وحيوية هذا الدين من طور الاتكالية والدروشة إلى طور البيان والمواجهة وقدموا المثل العملي على ذلك من خلال تلك البطولات العظيمة والانتصارات الكبيرة التي منّ الله بها وأكرم بها المجاهدين المسلمين وتسير بخطى واثقة بإذن الله نحو ميلاد دولة الإسلام الراشدة.

وكان أبرز هذه الصحوة وهذا التجديد الإسلامي المعاصر قوة الحركة الإسلامية العلمية وخروجها من المحن والمصاعب والكوارث الرهيبة والدموية أكثر صلابة وأكثر قوة وأكثر تأثيراً وانطلاق الجهاد الإسلامي في أفغانستان وفلسطين والفلبين وأرتيريا وغيرها من مناطق العالم وبروز أحزاب إسلامية وتجمعات

إسلامية في أوروبا ودخول أعداد هائلة من الناس من مختلف المستويات والأعمار، ومن العلماء والبسطاء في دين الله.

وانتشار وبناء المساجد وتحول الكنائس إلى مساجد في بلدان عديدة وتتطلع الأمة الإسلامية الى نموذج تطبيقي لدولة الاسلام فوق بقعة من الأرض لتعيد بناء دولة الإسلام التي يستفيىء في ظلها الإنسان ويتوب إلى ربه ويحقق السعادة في الدارين وتواجهه في طريق هذا العمل الجبار مشاكل عسيرة وتضحيات جمة ولكن العاقبة للمتقين هذا وعد الله والله لا يخلف الميعاد فمثل المحن والهزات والفتن والمصاعب بفضل من الله الكريم في جانب آخر أخرجت كثير من أبناء الأمة الإسلامية من وهم أساطير الإعلام إلى حقائق الواقع وطموح المستقبل فإذا بنا نرى الأمة الإسلامية تلتف حول العلماء والجيل المرتبك يقف على قدميه ويتجه إلى المساجد تحت المنابر وفي حلقات العلم ورحلات العمرة والاعتكاف والحج وأداء الفرائض ويحترق شوقاً إلى الجهاد في سبيل الله ومن أجل تطبيق حكم الله العادل في الأرض فتشرق في سماء الأمة الإسلامية كوكبة من العلماء الأماجد يضيئون طريق الخروج من الظلمات إلى النور فهم ورثة الانبياء حقا ويقومون بوظيفتهم في كل العصور إلى يوم القيامة، وما هذه الصحوة الشاملة إلا دليل على ذلك بل وصلت بعض الدول الإسلامية مثل ماليزيا وأندونيسيا وإيران وتركيا وباكستان والسعودية إلى مواقع متقدمة في التطور التقني وواجهت مثل غيرها من الدول الإسلامية محاولات إجهاض متكرره من داخلها ومن خارجها وعلى سبيل المثال ماحدث للعراق والسودان ومصر وليبيا والجزائر عندما حاولت بعضها الانطلاق في آفاق التقدم العصري على أساس الإسلام فعملوا على تدميرها وعزلها عن بعضها البعض والاستفراد بها وآخر الأمثله محاولة إجهاض التطور الأندونيسي الذي أوجد حالة من التخوف لدي

اليهود والنصارى من نهوض نمر إسلامي في مجال العلوم والتكنولوجيا معتمداً على ما تستحوذ عليه دول العالم الإسلامي من مصادر طبيعية وقوى بشرية تهيئ لها الانطلاقة التي لو توفرت لها أسباب النجاح فإنها ستحقق مركزاً مهما للعالم الإسلامي في القرن الميلادي المطل على العالم، وقد حققت أندونيسيا بالتزامها بالإيمان «إن أمة تقرأ القرآن وتصلي خمس صلوات في اليوم لا ينقصها الوعي ولا الانضباط المطلوبان لتحقيق التقدم التكنولوجي فحفظ الصلوات الخمس في أوقاتها يؤمن أيضاً للصناعة الانضباط الذي تقوم عليه التكنولوجيا الحديثة وكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة يدعوان إلى زيادة الإنتاجية وإلى الإتقان والتفوق».

«وقد تمكنت أندونيسيا من أن تصبح واحدة من ٦ دول فقط في العالم تنتج الطائرات التجارية في العالم وأمتاز إنتاجها بالتقنية العالية والتكلفة الأقل مما أدى إلى إفلاس بعض الشركات المنافسة في الدول الصناعية الكبرى، وبرهنت هذه التجربة على بطلان الإدعاء أن الأمة الإسلامية غير قادرة على تحقيق الإنتاجية والكفاءة والتفوق».

ولذلك تحركت جهات متعددة معادية للنموذج الإسلامي أينما حل لإجهاض هذه التجربة كما فعلت في الجزائر وفي تركيا وغيرها وعملت بواسطة الأشكال التي حاصرت بها الاقتصاد والتنمية في العالم الإسلامي مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وهيمنة الدولار على هدم البنية التحتية للصناعات العملاقة والتكنولوجيا المتطورة التي دخلت إلى تلك البلدان الإسلامية الآسيوية ومنها بلدان آسيا الوسطى التي تمتلك مخزوناً عظيماً من اليورانيوم والعقول والمواد النووية بعد تحررها مستقلة عن الاتحاد السوفيتي ومنها التجربة الأندونيسية التي امتلكت أيضاً برنامجاً علمياً مستهدياً بالإسلام وحقق نتائج قياسية لم تخطر على

بال الأمر الذي أقض مضاجع الكثيرين شرقاً وغرباً خصوصاً أنها إلى جانب تجربة ماليزيا كانت مثار نقاشات طويلة ليس من خبراء مسلمين فحسب بل ومن خبراء غير مسلمين رشحوا شرق آسيا ليصبح قوة هائلة في القرن القادم وركزوا العدسات المقربة تحديدا على هاتين التجربتين وخصوصا على التقدم العلمي والتقنية الصناعية والعلمية والقدرة على التنافس السلعي في الأسواق وهو الأمر الذي لا يمكن القبول به في ما سمي بالنظام العالمي الجديد حيث أصبحت القوة الاقتصادية معيار التحدي وإثبات الوجود وكانت حمله كنسية قد بدأت ضد أندونيسيا تلتها شبكه عنكبوتية وأخطبوطية للتضييق والهدم والتدمير من الداخل موجهة ضد المنهج الإسلامي الذي حاول أن يلامس الجدار المتقدم في المجال الإستراتيجي في كل الجوانب الدقيقة في العالم المعاصر وهو أمر بات الآن محل مخاوف كثيرة في ظل الظروف التي دفعت إليها إندنوسيا على الأقل في الوقت القريب حتى تتمكن من النهوض من كبوتها والحصار الذي يطوقها وتنطلق متضامنة مع الدول الإسلامية الأخرى في مسيرة النهضة الإسلامية بإذن الله.

«ولكن أندونيسيا ستلملم نفسها سريعاً وستخرج من الأزمة وستنهض للمستقبل كدولة مسلمة تريد أن يكون لها وضع مميز في الاقتصاد والتكنولوجيا العالمية وستظل تحتفظ بوحدتها وهي حريصة على ذلك وستنطلق مرة أخرى وبقوه بإذن الله»، فصحيح أن الطريق شاق ووعر ويتطلب تضحيات كثيرة وقد عثرت تجارب وحوصرت دول ومنعت قوى إسلامية من الوصول إلى الحكم رغم إرادة شعوبها واستشهد الكثير وامتلأت السجون بكثير واستخدمت كل أنواع الدعاية والتشكيك والتضليل وقلب الحقائق وتلميع الأباطيل والتزوير الجلي واستخدمت أبشع أنواع التعذيب الهمجي الوحشي والاغتيالات الغادرة

والممارسات اللاأخلاقية التي يندى لها الجبين الحر الشريف إلا إن هذه المحن أيضاً لم تزد طلائع الأمة الإسلامية وقادتها وعلماؤها والمؤمنين بالإسلام عقيدة وشريعة والمطالبين بتحقيقها إلا صلابة وأصالة وإشعاعاً وإضاءة ومتانة وتوحيد الصفوف لإفشال تلك المخططات والمؤامرات الشنيعة ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ، فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (إبراهيم: ٤٦، ٤٧).

وسيتحقق ما وعد الله ورسوله وستفشل كل تلك المخططات والمؤامرات والفتن التي يريدون من خلالها إثناء الأمة الإسلامية عن استعادة دورها التاريخي في قمة ذرى المجد الرفيع وقيادة البشرية مرة أخرى على هدى دين الله الحق ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ والدعوة لا تزال قائمه لكل فرد مسلم، لنا جميعاً في أداء دورنا والتصدي إلى الحملة الصليبية واليهودية الشرسة التي يساندها منا فقوا هذه الأمة والتي تركزت على العلماء لإقصائهم عن مواقع النفوذ والفعل وإخلاء الساحة للرموز التي تمثل ثقافة الاستعمار المباشر وغير المباشر، وقد تعرض هذا الجيل لمسخ وغسيل دماغ رهيب وحملة تضليل واسعة النطاق لإبعاده عن قيادته الحقيقية المؤهلة من علماء الأمة الأماجد وبذلت الأجهزة السياسية والأمنية والدعائية والإعلامية اليهودية والنصرانية جهوداً واسعة النطاق أيضاً وبكل الوسائل لتزيين قيادات وزعامات سياسية واجتماعية أمام الجماهير في محاولات عديده ليفتتن الناس وخاصة الشباب بها بتأثير ما يصنعه هذا الاعلام بالطبع من دعايات وتهويلات خرافيه تحيل تلك الرموز إلى أساطير ثم لا تلبث الأمه إن تكشف زيفها وتتساقط أمام عواصف الأحداث وسنن الله في الكون وطبيعة الصراع بين الخير والشر وفتنة الابتلاء، فعند ذلك تصاب تلك الحشود الهائله من الناس التي كانت تبح حناجرها من الهتاف

وأكفها من التصفيق للزعيم الملهم تصاب بالخيبة والاحباط ويتأثر وعيها وطاقتها سلباً، ولقد عرف جيلنا الحديث عدداً من تلك الزعامات التي صنعها الإعلام الخائب فخابت معها آمال الأمه الإسلامية بهذه الزعامات وأهتزت الثقه بها وكان ولازال هذا هدفاً من أهداف الحملة الإعلامية اليهودية الصليبية التي تحاول قطع الطريق أمام أي زعامات حقيقية مخلصة في أن تصل إلى مواقعها الفعاله في الحكم والنفوذ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾.

ولكن.. نعم.. ولكن كما انهارت الشيوعية والأشتراكية وغيرها من النظريات والأفكار المصادمة للفطرة الربانية والمخالفة لشريعة وسنن الله في الأرض ورأينا ذلك بأم أعيننا ما لا يتخيله بعض الجيل الذي سبق أيضاً بدأت ملامح الانهيار للنظرية الرأسمالية بل ولقد اعترف كبار قادتها الآن بعجزها وخطأ ابتعادها عن الدين وفصلها الدين عن الحياة مما عمق أزماتها وأنذر بأسوأ العواقب وهو ما يعترف به كثير من الزعماء والقادة والعلماء والمتخصصين فلو أعلن بعضهم أن الأزمات والمعضلات الخانقة التي يعيشها النظام الرأسمالي الحر يكاد يصل إلى «طريق مسدود» وأن «النظام الرأسمالي أيضاً يحمل في بطنه وأحشائه بذور فنائه المحتم إذا استمر في هذا الطريق الخاطىء» وهذا لاشك فيه فهو يتجة نحو الاحتضار سنة الله وفطرته ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ حتى قال الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون: «لقد بدأ الإتحاد السوفيتي بنفيه للرب بينما بدأت الولايات المتحده كمجتمع اراد لأبنائه عبادة الرب لمن يشاء».

وقال أيضاً: «إن النموذج الأمريكي يتصدع مع كل مشكله محليه عميقة فالتعليم الثانوي الهش والعنف والجريمة ونمو التفرقة العنصرية والفقر القاتل ووباء

المخدرات وتداعي معايير الواجبات المدنيه وتفشي ظاهرة الفراغ الروحي قد فكت جميعها ارتباط الأمريكان ببلادهم وأبعدتهم عن دينهم وفرقت صفوفهم».

وانتقد مظاهر العبث بالعلم وانحدار المجتمع الرأسمالي إلى أدنى مستوياته «التدهور الصحي والتعليمي القاتل والفقر وزيادة الديون وفشل نظام العدالة الجنائي وزيادة الخوف وانعدام الأمن والتآكل الإجتماعي الذي يخلق المجرمين في المقام الأول.. إنهيار القيم وإنعدام روح الإنضباط وغياب أي أحساس بالحق والجنس الإباحي أو ما سموه الثورة الجنسية والشذوذ الجنسي الذي عاث في المجتمع فساداً فأوصل إلى معدلات عالية في الطلاق والتفكك الأسري وتزايد المواليد غير الشرعيين وتعدد العائلات ذات الأب الواحد».

وغيرها من الظواهر الخطيرة التي عددها في كتابه الأخير قبل الموت ووصل إلى «أن هزيمة الشيوعية لن يتبعها إنتصار الحرية بل تباطؤ ومن ثم انحلال متواصل نحو الفوضوية في العالم ودور غير سوي للولايات المتحدة».

وإلى نتيجة مؤداها قوله: «فلا يحق لنا أن نستخدم ضرورة الفصل بين الدين وبين السياسة ذريعة لنجرد الدين من دواخلنا».

إذن فلقد كانت الشيوعية محاولة للقضاء على الرأسمالية وقدمت نفسها على أنها البديل الأصلح ووصفت الحريه في الغرب الرأسمالي بأنها حرية صورية غير حقيقية لا يتمتع بها إلا حفنة من أصحاب رؤوس الأموال والاحتكارات والأقوياء الذين يعرفون طريق الوصول إلى البرلمان والرئاسة على حساب الغالبية الساحقة من الأمة، وظن الشيوعيون أنهم قادرون على معالجة عيوب الرأسمالية وتصحيح أوضاع المجتمعات وقيادتها ولكنهم فشلوا إذ ابتعدوا عن الهدى أيضاً فاستبدلوا ظلماً بظلم أشد واستبداداً باستبداد أكبر وطغياناً بطغيان أفظع حتى أصبح الناس في الدول الشيوعية يتوقون إلى الحرية في أبسط صورها وحدودها

ويتمنون العودة إلى أحضان الرأسمالية بظلمها واستبدادها واستغلالها لأنها في نظرهم أرحم من الظلم الشنيع الذي مارسته اللجنة المركزية ومكتبها السياسي للأحزاب الشيوعية ضد العمال والفلاحين الفقراء والكادحين والمثقفين.

وخلت الساحة من فكرة الشيوعية ونظامها وتقدم النظام الرأسمالي وفكرته الديمقراطية التعددية الآن إلى الناس على أنه الحل لمشكلات المجتمع المعاصر بكل العيوب التي لازالت فيه وقامت الحركة الشيوعية لتغييرها ولم تستطع وجاءت أحداث ١١ سبتمبر لتكشف حقيقة عدم قدرة وعدم جدارة هذا النظام الرأسمالي العالمي على قيادة البشرية بل وحتمية زواله لانه يريد أن يتأله في الأرض ويعبد من دون الله وقد كثر شره وطغيانه وحان وقت أفوله بإذن الله القوي الجبار بينما يتقدم علماء الإسلام ودعاته إلى العالم «بالإسلام» على أنه الخيار الأفضل الوحيد لحل مشكلات المجتمع المعاصر لأن الإسلام من عند الله العليم الخبير بشؤون البشر الذين خلقهم وقد بيّن لهم فيه ما يفسدهم وما يصلحهم.

ورغم كل ذلك فسنة الله ماضيه في صراع الحق والباطل، ولا يمكن الجنوح الى الخيال أو الخلود إلى الإتكال والتوكل السلبي عند النظر الى المخاطر والصعاب التي تعترض مسيرة الدعوة إلى الإسلام في واقعنا المعاصر فلابد من اعتماد الرؤية الواقعية وتحري الصواب مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما تركه لنا الصحابة الأوائل والتابعين وتابعي التابعين، وما جرى ويجري على مر الأيام والعصور بما يعزز ويقوي إيمانهم بنصر الله لعباده المؤمنين.

يبقى أن نبيّن لمزيد من التوضيح حتى نزيل بعض الأوهام أو الخلط أو الإلتباس لدى من يتصوّر أو يفسر الأمور على هواه وليس حسب النظرة الواقعية للأمور أننا عندما نشير إلى «معالم الصحوة الإسلامية» و«مظاهر إنتشار الإسلام»

في أي بلد من البلدان الأوربية أو البلدان الإسلامية نفسها التي افتقدت مظاهر ومضمون الحكم بالإسلام لا نعني بالضرورة إن النظام هناك قد أصبح نظاماً إسلامياً كاملاً في تلك المناطق وأن الفتن والمصاعب قد زالت.. فهذا ظن وفهم خاطئ وقاصر للأمور في الوقت الذي نؤكد بيقين على حقيقة انه مهما كانت المصاعب والمشكلات فإن الإسلام باق ومنتصر ولكن الفتن والابتلاءات والبلاء تترافق معه وهذه سنة الله التي فطر الناس والكون عليها.

إن أعظم مظاهر الصحوه الإسلامية متجسدة في هذه التوبة العظيمة الصادقة النابعة من القلب التي تتصاعد بعد أحداث ١١ سبتمبر أكثر فأكثر والتي كانت آخر بشائرها في العراق الذي رغم أن شعبة لم يفق من هول الصدمة والترويع التي مارستها عصاية الشر العالمية عليه خرج بملايينه يهتف «لا للاحتلال.. لا لا أمريكا لا لصدام.. نعم نعم للإسلام» وامتلأت مساجد العراق ولم تعد تتسع لروادها أكثر بكثير من ذي قبل في مشاهد لا يسع الإنسان العاقل إلا أن يخر ساجداً من خشية الله العظيم الجليل الذي تجلت حكمته أكثر فأكثر لتعلن للعالم قوة الإيمان.. قوة العقيدة.. قوة الحق والحجة الدامغة وقوة الدليل والبرهان.. قوة الفطرة السليمة التي إذا استوت كما أراد لها خالقها ويفرح بها عند الإياب إليه جل وعلا وهي نموذج اكتفي به للتدليل على أن الله متم نوره.

وأن نموذج هذه التوبة الصادقة يؤكد أن هذه الصحوة هي بشائر فجر جديد ونورٌ وهاج سوف يعيد البشرية إلى صوابها بعدما غرقت في التيه والضلال عقوداً طويلة في أعقاب ضعف الخلافة الإسلامية ثم سقوطها في بدايات القرن مما مكن أعداء الله وقد استطاعوا أن يحرزوا تقدما تكنولوجياً وتطوراً صناعياً كبيراً إلا أنهم فشلوا في الحفاظ على القيم الأخلاقية وعلى الإنسان الذي استخلفه الله في الكون وسخر كل ما في السموات والأرض ظاهره وباطنه.

ولما ضعف المسلمون قاموا دهرا يتخبطون بين الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والقومية والبعثية وغيرها من الدعوات الأرضية فلم يجنوا من ورائها إلا الخسران والبوار فأدركوا أن النجاه في العودة إلى دين الله فسخر سبحانه وتعالى لهم مجموعة من الدعاة قاموا بواجب الدعوة الى الإسلام وبث العزيمة والهمة فيهم.

فبدأ الناس يستجيبون ويعودون الى دين الله أفواجا وأصبحت جموع المسلمين في المساجد تزداد يوماً بعد يوم وعام بعد عام مؤكدين أن جهود أعداء الله سوف تنقلب عليهم خسراناً وبوار.

وما هذه الصحوة العامة إلا بشائر لعودة الأمة عودة شاملة إلى الإسلام هذا الدين القويم الذي سيقودها إلى عزها ومجدها وأن المرحله القادمة هي مرحلة المغالبة والتدافع حتى يحفظ الله الأرض من الفساد ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾..

إن هذه الصحوة المباركة تمثل بداية الطريق.. طريق النصر والتمكين إلى دين الله وتلقى عبئاً كبيراً على الدعاة الى الله والمخلصين لدينهم حتى يقوموا بتوجيهها وترشيدها أما أعداء الله فلن يعجزوه وهذه الإمكانيات الهائلة التى يسخرونها لمحاربه دين الله وتشويه صوره الإسلام والمسلمين فسوف ترتد عليهم وبالاً وحسرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

المعجزة المتجددة الخالدة

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»!

إننا أمام معجزة عظيمة خالدة حقاً.. جميع الظواهر والوقائع والشواهد والأدلة والإشارات والنماذج من الأفواج المتدفقة إلى دين الإسلام من مختلف الجنسيات والبلدان ومن مختلف الفئات المتعلمة وغير المتعلمة في المجتمعات العالمية.. ولا زالت المعجزة العظيمة تتجدد.. فإذا بالدين الذي حوّل رعاة الإبل إلى سادة الدنيا وحوّل الجاهلين إلى أهل حضارة راقية وحوّل عبدة الأصنام الذين صنعوا آلهتهم من التمر والحلوى وإذا جاعوا أكلوا ربهم، إلى أهل إيمان بالله وتقوى وعزة وسعادة في الدنيا والآخرة وحول الذين كانوا يئدون الفتيات عند ولادتهن ويدفنونهن في الرمال إلى مكرمين للمرأة وحقوقها ومكانتها فالنساء شقائق الرجال ولا فضل لذكر على أنثى ولا أبيض على أسود ولاسمين ولا نحيف إلا بالتقوى..

ومازالت المعجزة تتجدد الآن فيتّحول السجناء في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً ليس فقط إلى مواطنين صالحين مسلمين هادئين ولكن أيضاً إلى دعاة خير وحب وتقوى وبناة مجتمع صحيح وسليم ويحدث هذا التحول العظيم ليس فقط لأفراد قلائل من النساء والرجال وإنما لأفواج تلو أفواج تتدفق إلى عالم جديد أراده الله لها فأرتضته فأصبح عدد السجناء في الولايات المتحدة الأمريكية فقط الذين اعتنقوا الإسلام أكثر من ٣٠٠٠٠٠ مسلم جديد أصبح بينهم ١٠٠٠ داعية يحفظون القرآن الكريم ويجسّدون السنة المطهرة في سلوكياتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وتجاوزوا من كان قبلهم حتى أن وزير العدل والمدعي العام الأمريكي

السابق رمزي كلارك أعلن في الصحافة[١] ان الإسلام هو المنقذ لهذا العالم وأن أعظم أمل للبشرية أن يصلها قوة وعظمة الإسلام قبل فوات الأوان وأن الإسلام هو الفرصة الوحيدة لإنقاذنا من وحل المادية وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أستطاع أن يدخل السجون الأمريكية وينقذ عدداً كبيراً من المساجين من المخدرات والجريمة فسبحان الله والحمد لله على نور الإسلام الذي يضيء القلوب وسنقدم تفاصيل كثيرة في الفصول القادمة من أجزاء كتابنا هذا بإذن الله.

وقبل ذلك وجدت من المهم أن أنقل مرة أخرى صرخة غيور لازالت ترن حتى الآن[٢] ومن أبلغ ما يمكن الاستشهاد به كذلك بالإضافة إلى المقدمة التي كتبها لهذا الكتاب جزاه الله خيرا انطباعات د. البار أثناء زيارته للولايات المتحدة الأمريكية يقول د. محمد البار: «وكان مما يثلج الصدر خروج الآلاف إلى صلاة الفجر في قاعة بلدية مدينة فورث ورث الكبرى في تكساس وإرتفاع صوت المؤذن الشجي في هدأة آخر الليل وأول النهار: الله أكبر الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله.. مؤذنة ببزوغ فجر قريب ترى فيه هذه البلاد نور

---

(١) انظر تصريحات د رمزي كلارك في المؤتمر الإسلامي في أمريكا ١٧ ربيع أول ١٤١٩هـ الموافق ١١ يوليو ١٩٩٨م ولازال د. رمزي اليوم يقود حملة قوية عادلة ضد الحروب غير العادلة التي تشنها الطغمة الحاكمة في البيت الأبيض ضد المسلمين في أفغانستان والعراق وفلسطين والعالم الاسلامي بعد أحداث ١١ سبتمبر.

(٢) تمت الزيارة في ٧ ربيع أول ١٤٠٣هـ الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٨٢م لحضور مؤتمر ربطة الشباب المسلم العربي وكان موضوع المؤتمر «الهدي القرآني» وألقى فيه محاضرات بعنوان «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» الذي سبق أن أصدره في كتاب بنفس العنوان. وشملت المحاضرات والندوات دراسات عن الأعجاز القرآني وأوضاع المسلمين ومحاولات تلمس الحلول من خلال النظرة الإسلامية مستهدين بالهدي القرآني والنور النبوي. ونشرها في صحيفة المدينة بجده ثم جمعها في كتابه القيّم «تيه العرب وتيه بني إسرائيل».

الإسلام وفي كل يوم يدخل إلى هذا النور أفراد من المجتمع الأمريكي يسيرون على هديه ويستضيئون بألق نوره ويفيئون إلى وارف ظله. مئات بل ألوف من السود والبيض في هذه القارة تبهرهم أنوار الإسلام بعد أن عاشوا في ظلام القلق والكآبة والمخدرات دهرا مئات بل آلاف ممن وصفهم لنا الكاتب الأمريكي الأسود «جيمس بالدوين» في كتابه «الجحيم في المرة القادمة» يعودون إلى الإسلام كل عام بل كل شهر الآن - وفجأة - سمع أولئك الناس الذين لم يتح لهم من قبل أن يتعرفوا على هذا الدين العظيم.. سمعوا به وتعرفوا عليه وأقبلوا بنفوس ظامئة وشربوا من حياضه فتغيروا.. نعم تغيروا تغيراً كاملاً مذهلاً.

لقد استطاع الإسلام أن يفعل ما لم تستطع أن تفعله أجيال موظفي الضمان الاجتماعي ومئات القرارات والدراسات واللجان التي كلفت بإصلاح أحوال السود.. نعم لقد استطاع الإسلام في وقت قصير جداً أن يحوّل هؤلاء البائسين مدمني الخمور والأفيون والهروين ممن فشل في علاجهم الأطباء والمصلحون الإجتماعيون.. إلى الطهارة والنقاء وتوقفوا فجأة عن الإجرام وشرب الخمر وإدمان المخدرات وقذف في قلوبهم نور الإيمان ودخلوا في دين الله أفواجا فتحولوا نعم تحولوا من الدمار والعار إلى واحة الإيمان الوارفة الظلال الملتفة الأغصان.. إنزاح ذلك الظلام الكثيف الذي أحاط بأولئك الرجال الذين وقعوا في مستنقع الرذيلة والإجرام والإدمان وتلك النسوة اللاتي احترفن البغاء وتكسبن بالفجور ومشاركة الرجال في إدمان الخمور..

ولم يبق بعد دخولهم في دين الله إلا النور الألق يكسو وجوههم ويهدي أعمالهم ويحّولهم إلى رجال ونساء أطهار.. آلاف بل ملايين البشر في هذه القارة وفي غيرها من القارات يتلهفون لمعرفة هذا الدين ولكن ويا للآسف يحال بينهم

وبين رؤية النور الألق وتترك الجهود لأفراد معدودين يواجهون ظلمات الجهل والجاهلية لينشروا دين الله في أفاق المعمورة.

وصرخ د. البار ولازالت صرخته حيّه ترن في إذن كل قلب حي لمسلم أين جهود المسلمين؟ أين أموالهم التي يكتنزها اليهود في بنوكهم ويستخدمونها لمحاربتهم؟ أين حكامهم؟ أين علماؤهم؟ أين رابطتهم؟ إن دعم الدعاة وتنظيمهم وإيصال الدعوة إلى الله إلى كل البشر واجب على كل مسلم قادر وخاصة علماء الأمة وأصحاب الأموال فيها أفراداً وحكومات منظمات وهيئات.

ويشير د. البار إلى الجهد المتواضع لبعض الدعاة هناك في المجتمع الأمريكي الكندي رغم قلة الإمكانيات وآثارهم الطيبة في نشر الإسلام وقدم نموذجاً مما فعلته المؤسسة الإعلامية الإسلامية التي استطاعت أن تقدم مسلسلاً تلفزيونياً في كندا وفي بعض المحطات التلفزيونية الأمريكية وشمل البرنامج ١٠٠ حلقة كل حلقة نصف ساعة توضح الإسلام وأركانه وقوانينه وأخلاقياته وترد على الشبهات واحدة واحدة ووصف د. البار «البرنامج» بأنه: «معد بصورة ذكية لبقة تخاطب المجتمع الغربي وهو على هيئة أسئلة وأجوبة كل حلقة تتناول موضوعا معينا وتناقشه مناقشة هادئة وتتعرض إلى عقيدة النصارى المحرفة وتناقش التثليث والصلب بهدؤ وعلمية وتوضح خطأها كما تتحدث عن البشارات التي جاءت عن سيدنا محمد ﷺ في التوراة والإنجيل كل ذلك بلغة علمية هادئة رفيعة مدعمة بالحقائق موثقة بالبراهين».

وشرح د. البار أهداف رابطة الشباب المسلم العربي التي كان منها بتوفيق الله أن تجمع أكبر قدر ممكن من الشباب العربي الذي يقيم في الولايات المتحدة وكندا وأغلبهم مبتعث من حكومته للدراسة هناك وتستنقذهم من براثن الضياع والفساد

التي استشرت في المجتمع الأمريكي، ويبيّن د. البار العجيب الأعجب فيقول: «ومن عجب أن نسمع قصص عشرات الأشخاص من الشباب العربي الذي كان في بلده غير مهتم بشؤون المسلمين ولا حتى بشؤون الدين نراهم وهم يتحولون بفضل الله أولاً ثم بفضل التجمع الإسلامي وكم من قصص لشباب غض سمعتها من أصحابها وهم يواجهون مواقف مماثلة لتلك المواقف التي وقفها نبي الله يوسف عليه السلام تدعوه امرأة ذات جمال ومال فيقول أني أخاف الله رب العالمين فيدخل في ظل الله يوم لاظل إلا ظله ولهم مجلة اسمها الأمل ذات مستوى جيد وتقوم على اشتراكات الأعضاء ويبارك الله فيه».

وهذه النماذج التي سنستعرضها ونقدم قصص إسلامها، في الأجزاء اللاحقة بإذن الله في مواقف مهيبة خاشعة، ساجدة لله رب العالمين، وسبحان الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ نعم إن حفظ الله لدينه وكتابه معجزة باقيه خالدة تتجلى أمامنا اليوم في مثل هذا التدفق المستمر لهذه الأفواج يوماً بعد يوم للدخول في دين الإسلام.. تتجلى في التدفق المستمر لهذه الأفواج التائبة الآيبة إلى الله عز وجلّ التي تحدثت عنها الصحف والمنابر والأقمار الصناعية يوماً بعد يوم ولا تتوقف حتى كتابة هذه الأسطر بل تزيد تماما كما وصفها كلام خالقها عز وجل القائل عزمن قائل كريم: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ لأنه سبحانه الوعد الحق الصادق ومن أصدق من الله قيلاً وحديثاً.

وقد أكد في محكم كتابه العزيز: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ .. وستظل هذه المعجزة المتجددة وسنظل نرى وسيرى غيرنا بعدنا أمثال هؤلاء المقبلين على الإسلام وهم بالعشرات والمئات وآلاف في مشارق الأرض ومغاربها يجسدون سر عظمة هذا

الدين الصالح للإنسان في أي وطن.. ولكل إنسان في هذا الكون.. ولننظر إلى هذه الحقيقة وكل الحقائق المتصلة بها من خلال عرض عدد من النماذج الحية لأناس أصبحوا إخوانا لنا وأشد تمسكاً بالإسلام منا ولا نزكي على الله أحداً فتحولوا كما قلنا بعد دخولهم في الإسلام إلى نور يضيء طريق الناس في بلدانهم وسنرى بإذن الله في سياق فصول هذه السلسلة عجائب هذه المعجزة المتجددة بعد أحداث ١١ سبتمبر ومن خلال ما نشرته الصحف الأمريكية والغربية ومن أحاديث وتجارب أبناء هذه البلدان أنفسهم الذين عرفوا الباطل فتركوه وعرفوا الحق فاتبعوه.. نسأل الله سبحانه وتعالى لنا ولهم الثبات والسداد. آمين.

كما يجد إخواني بين الفصول في هذا الجزء أني لم أهمل بعض الأحداث الهامة التي ساعدت على انتشار الإسلام قبل أحداث ١١ سبتمبر ولها صلة بالسياق الذي نحن بصدده وذلك لإثبات حقيقة أن الإسلام ينمو في كل البيئات والمناحات لا يحده حد ولا تعيقه العوائق وإن إعادة تذكر هذه الأحداث والنماذج إنما تؤكد حقيقة أن الإسلام لم يجلب سوى الخير منذ أن وصل إلى تلك البلاد وأنطوى تحت لوائه الرجل والمرأة والأديب والسياسي والعالم والمثقف والأمي كل «الناس» كل «البشر» ليؤكد بقدرة الله أنه الدين الصالح للبشرية كلها في كل الأزمان والعصور وتستوعبه العقول من كل الفئات وتتقبله القلوب كلها وقدم أهل الإسلام النموذج الرائع الذي أغاظ اليهود صناع الفن والفتن والدسائس والشر فشعروا بأنهم سيخسرون الساحة فدبروا المكائد الضخمة ضد أهل الإسلام ولازالوا ومع ذلك بيقين نقول سيفشلوا لأن الله متم نوره ولو كره الكافرون ولو كره المشركون فستبوء كل المحاولات وكل الكيد وكل التحديات بالخسران المبين ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

«أعداء الإسلام كثر ولن يهدأ لهم بال طالما ظل هذا النور يشع وسوف يستمرون في حملاتهم ضد الإسلام مستغلين أية سانحة ومستخدمين شتى الوسائل المتاحة خاصة سلاح الإعلام الذي يعتبر أكثر الوسائل تأثيراً على الرأي العام هؤلاء أشخاص متمرسون في عملهم وهم يمثلون أفضل ما أنتجه العصر ولهم القدرة على التأثير على عقول الناس وإقناعهم بوجهة النظر التي يريدون هم إظهارها أعداء الإسلام لن يتوقفوا عن تشويه صورتهم في أمريكا بلد قامت على دستور وضعه البشر وليس على دستور سماوي ولهذا فكل ما سعى المسلمون إلى إقامة العدل والحق وجدوا من يتصدى لهم، المسلمون لابد لهم من أمتلاك وسائل الإعلام الخاصة بهم والتي يستطيعون عن طريقها التصدي للحملات الظالمة ضدهم لقد منحنا الله سبحانه وتعالى المعرفة والثروة التي إن وظفناها كما أمرنا لأصبحنا نحن الأعلون، نحن في الولايات المتحدة نتطلع إلى إخواننا المسلمين المحسنين وذوي الفضل أن يتحركوا لشراء محطات إرسال فضائية وإذاعية وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى وعندها فقط ستتاح لنا الفرصة للتصدي لهذه الحملات ومحاربتها بالسلاح نفسه ونحن قادرون على ذلك بإذن الله وعلى توصيل الرسالة الصحيحة للناس، إن اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام لا يترددون في بذل الجهد والعرق والمال في سبيل نشر برامج الشيطان في الأرض بينما عجزنا نحن المسلمون ونحن على الحق أن نتصدى للدفاع عن عقيدتنا فهذه الأموال والثروات التي تكنز ولا تبذل في سبيل الله سنكون محاسبين عليها يوم القيامة ونُسأل كيف أنفقناها؟»[1].

---

(١) الشيخ إبراهيم عبد الله عضو مجلس الشورى في نيويورك في ندوة المسلمون العدد (٤٢٦) ١١ شوال ١٤١٣هـ الموافق ٢ - ٤- ١٩٩٣م.

ورغم كل أعمال الإرهاب الذي مارسته الإدارة الأمريكية الجديدة في عهد بوش الإبن خصوصاً فإن الأمل المغروس في قلوب المسلمين إزاء كل الأحداث الإرهابية الأمريكية السابقة واللاحقة يظل راسخاً في قلوب المسلمين فعقب الممارسات العدوانية البهمجية الضارة التي قامت بها الإدارة الأمريكية أيضاً عقب أحداث نيويورك الأولى يظل الأمل بأن «تكون لتلك الأحداث انعكاسات إيجابية تدفع المسلمين إلى مزيد من التركيز على الدعوة الموجهة نحو المجتمع المحلي حتى يتفهم الصورة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين كما نأمل ان يؤدي ذلك إلى تحسين نوعي في كل أوجه العمل الإسلامي»[١].

«مازال هناك جمهور واسع من المجتمع الأمريكي يملك الأستعداد للإقبال على الإسلام وتقبله رغم كل حملات التشويه والعداء الإعلامي وهذا الأمر يوجب على المسلمين أن تتكاتف جهودهم جميعاً لتوصيل الإسلام بصورته الصحيحة إلى هذا القطاع الكبير من الناس الأمر الذي سيحد من النتائج السلبية المتوقعة كما أن على المسلمين أن يقفوا صفاً واحداً ويجمعوا كلمتهم ويوحدوا جهودهم وأصواتهم سواء على مستوى الدعوة أو الإعلام وفي المجال السياسي وظني إننا يمكن أن نلقى استجابة كبيرة إن شاء الله[٢].

وحول هذا الأمل كثيراً ما رددت زوجة الدكتور حسن حتحوت «المستقبل للإسلام إن شاء الله وهذه الحقيقة الربانية لا مراء فيها ولكن على المسلمين أن يقوموا بمسئوليتهم تجاه إسلامهم وعقيدتهم ورغم العقبات التي قد تواجه المسلمين

---

(١) د. محمد عشماوي رئيس رابطة الشباب العربي المسلم في الأمريكتين «المسلمون» العدد (٤٤١) صادر في ٢٦ محرم ١٤١٤هـ الموافق ١٦ يوليه ١٩٩٣م.

(٢) الشيخ محمد الهلالي إمام وخطيب المركز الاسلامي في «سان دييجو بولاية كلفورنيا» المرجع السابق.

في الغرب إلا أن الإسلام سيقبل عليه الكثيرون لو أحسن عرضه في هذه المجتمعات التي تعاني من طغيان المادية والأزمات الأخلاقية والخواء الروحي وخاصة قضايا المرأة التي شوهت مع الأسف الشديد عن قصد ويوجد كل يوم الآلاف من الغربيين الذين يدخلون الإسلام عن قناعة ويسلمون ويحسن إسلامهم وهذا يؤكد أن مستقبل الإسلام في هذه المجتمعات في خير ويؤتي أكله إن شاء الله»[1].

ولننظر في بعض عظيم الفوائد وعميق الأثر الذي تركته هذه الأحداث على الساحة الأمريكية وغيرها من قارات العالم فقد أشرنا إليها وضربنا الأمثال الواقعية للأثر العجيب الذي تركه الإسلام على الحياة الإجتماعية الأمريكية وفي السجون الأمريكية حيث كانت المعجزة المبهرة المتجددة في صناعة الرجال من جديد وتحويل أعتى المجرمين إلى ريادة العمل الخيري الاجتماعي الإنساني بروح الإسلام وذكرنا الأمثال على تحرير الإسلام للنظرة العصبية العنصرية وإطلاقها من إسارها الضيقة إلى آفاق الإنسانية الرحبة بروح جديدة منطلقة من أن أكرمكم عند الله اتقاكم فشحذت الهمم للتسابق إلى جنة عرضها السماوات والأرض بدون تمييز للون أو جنس إنطلقت في آفاق المساواة والأخوة الحقيقية بين جميع الأجناس والألوان وذكرنا أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة قد جذب الآلاف إلى اعتناق الإسلام عن قناعة ودراية وحجة بالغة وذكرنا الأمثال عن معجزة الإقلاع عن الخمر والمخدرات والابتعاد من السفور والاختلاط وأصدقاء السوء بالإيمان بدون أيما حاجة إلى صرف المليارات ومليارات المليارات من الأموال في سبيل هذه المهمة بدون إيمان فلم تفلح وبالإيمان والاستجابة لأوامر الرحمن إذا استقر الإيمان في القلوب تحققت المعجزة الرائعة فرأت الأسرة إبنها أو عائلها وقد أصبح من خيار

---

(١) انظر المسلمون العدد (٣٦٤) صدر في ٢٠ رجب ١٤١٢هـ الموافق ٢٤ يناير ١٩٩٢م.

الناس وارتقى بمعاملاته وأخلاقياته وسلوكه فدخلت الإسلام بأكملها وقد علمت ما يفعله الإسلام بالعقول والقلوب من راحة وطمأنينة وأمن ونجاة في الدنيا والآخرة بل وأرغمت زعماء في أمريكا وأوربا على الاعتراف العلني بالأثر الإيجابي لاعتناق الإسلام على الناس ودفعت البعض منهم إلى المطالبة بزيادة إتاحة مساحات الحرية للإسلام وفصل البنين عن البنات والمجندين عن المجندات وقدمنا أمثلة واضحة للعيان وسنقدم في سياق هذه الفصول بإذن الله وبقدر الاستطاعة نماذج أخرى متعددة مثل أثر الصلاة التي جعلت الكثيرين يدخلون في الإسلام وأثر المساواة التي جعلت الجنرال والزبال يقفان في صف واحد أمام رب العالمين بل ويصلي الجنرال والوزير وراء الزبال والفقير دونما اعتراض على أمر الله وأثر فعل الخير من إنتشال المتشردين من أسفل المجتمع والسمو بهم بالإسلام إلى أرقى الدرجات الاجتماعية.

وكيف علم السائق المسلم مثلاً الآلاف في المدرسة الأمريكية الأمانة فأعتلى عمدة نيويورك المنبر ليخاطب الجيل التمثل بأخلاقيات المسلمين فقد كان جواب مجموعة من طلاب المدارس الذين اجتمعوا في أمانة مدينة نيويورك حول (الأمانة) مخيباً لأمال عمدة نيويورك جولياني الذي جمعهم لشكر سائق مسلم من باكستان لتسليمه أكثر من عشرة آلاف دولار لسائحة بلجيكية ذلك إن سيد شاه وجد المبلغ مع جواز السفر في سيارته التاكسي وسلمها لها أمام الشرطة وقد سأل عمدة نيويورك الطلاب والضيوف في اجتماع صباحي بمبنى أمانة العاصمة إذا وجدت هذا المال ماذا ستفعل؟ جاء الجواب بصوت جماعي واحد «احتفظ به لنفسي» الجمهور ضحك ولكن العمدة قال لطلبة المدارس المجتمعين «لا.. لا السبب الذي نحتفل فيه اليوم هو أن سيد شاه هذا الباكستاني المسلم يعلمنا درساً مختلفاً إذا وجدت مالاً ليس لك يجب أن تعيده الناس السيئون فقط يحتفظون بأشياء لا تخصهم» وأعقب ذلك كلمة سيد شاه الذي قال: «هاجرت إلى نيويورك قبل ستة أعوام إنني مسلم متدين

وديني الإسلام يعلمني أن أكون أميناً.. ديني يعلمني أيضاً أن أكون حسن الخلق مع الناس الآخرين ولو احتفظت بهذا المال لنفسي سأشعر بالذنب طوال حياتي».

وقبل عامين من هذا الحدث في ١٩٩٦م حصل شيء مماثل في نيويورك حيث عثر سائق تاكسي مسلم على حوالي ٣٣٠٠٠ دولار في شنطة الكرسي الخلفية نسيتها امرأة عجوز تمثل كل ما جمعته طوال حياتها وأثنت إدارة الشرطة في مؤتمر صحفي على «قربى ترمذي» الذي دفعه دينه الإسلامي لإعادة المبلغ كاملا دون المساس به ودون القبول بمكافأة عرضتها عليه العجوز ذات ال٧١ سنة[1].

من القدس الى جوانتناموا إلى الفلوجة!!

وفي فلسطين كان المثال البارز إخونا في الله الداعية الجديد الذي انتقل من «شاس» إلى «حماس» إنتقل من الظلمات الى النور ليقدم منارة عالية للإسلام وسنقدم تفاصيل هذا الحدث الرائع بين ثنايا هذا الجزء باذن الله وفي العراق إلى جانب الانتصارات العظيمة التي حققها أحفاد خالد بن الوليد والصحابة الفاتحين الكرام رضوان الله عليهم أجمعين بدأ اليوم ١١ سبتمبر ٢٠٠٣م بشائر نصر أعظم بإعلان أحد الضباط الأمريكان أعتناقه الإسلام والزواج من طبيبة عراقية مسلمة وأخذ يدرب هو وسبعة ضباط أمريكيين آخرين إنضموا معه الى صفوف المقاومة في العراق أخذوا يدربون الشباب على مقاومة الكفار المحتلين الذين جاء في صفوف جيشهم الغازي من واشنطن ونيويورك ثم أخذ يبكي على والديه اللذين ماتا على غير الاسلام، وهكذا تتجلى عظمة دين الله الخالد الكامل الاسلام وقد سبق للغزاة التتار في العراق في قرون مضت أن غزو العراق طمعاً في ثرواته فإذا

(١) انظر العدد (٦٨٩) المسلمون في ٢١ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١٨ أبريل ١٩٩٨م.

بالإسلام يغزو قلوبهم فيتحولون إليه أفواجاً أفواجاً وليس مستحيلاً أن يتكرر المشهد اليوم وأن يدخل الأمريكان وغير الأمريكان في دين الله أفواجا.

وكثير كثير من الأمثلة والنماذج التي احتوتها المجتمعات الأمريكية والأوربية حتى بلغت ذراها بالدخول أفواجا في دين الإسلام وهو مشهد غير منقطع بل هو في ازدياد منذ جاء نذير القرن الجديد ١١ سبتمبر ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾، ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، رغم كل المضاعفات السلبية التي تركها إلا ان الآثار الإيجابية المتواصلة أعظم وأنفع وأجدى ولله حكمة بالغة ولله الحمد والفضل والمنة.

إن أعظم مظاهر الصحوة الإسلامية متجسدة في هذه التوبة العظيمة الصادقة النابعة من القلب التي تتصاعد بعد أحداث ١١ سبتمبر والتي خصصت لها هذا الجزء الرابع من سلسلة «والله متم نوره» «المعجزة المتجددة في عصرنا» والتي كانت أبرز بشائرها في جوانتنامو والعراق الذي رغم أن شعبة لم يفق من هول الصدمة والترويع التي مارسها رامفسلد وملأه عصابة محور الشر العالمي عليه خرج بملايينه يهتف «لا للاحتلال.. لا أمريكا.. لا للطغيان نعم نعم للاسلام» «لا سنية ولا شيعية وحده وحده إسلامية وكما سبق لي أن اشرت بكل ثقة بالله عز وجل نحن ورغم كل المحن فإننا على يقين بأن التدبير والقضاء والقدر ليس في البنتاجون وليس في الكونجرس ولا في البيت الأبيض ولا في الموساد ولا في أي مكان آخر أن التدبير في السماء لله رب العالمين يدبر الأمر ولله الأمر من قبل ومن بعد ولله عاقبة الأمور وعلى يقين من أن هذه المحنة وهذا الابتلاء سيعقبه خيراً كثيراً ونصراً مؤزواً ولو بعد حين لاننا نثق بأننا على الحق وأن الإسلام دين الله الحق الكامل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ وأنه الحجة البالغة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.

وهذا المثال الحي اليوم يرفع هامته عالياً فعلى إثر أحداث ١١ سبتمبر ثم الحملة الإرهابية الجنونية الهمجية التي قادها رامسفيلد في أفغانستان المجاهدة الصابرة المنتصرة بإذن الله واختطاف آلاف المسلمين وشحنهم بالطائرات والبواخر الى جزيرة غوانتنامو الكوبية المحتلة من قبل الاستعمار الامريكي[١].

وبعد مرور أكثر من عامين بذلت فيها الجهود من أجل كسر أغلال القيود الأمريكية الهمجية البربرية خاصة من قبل المحامي القطري النابه د. نجيب النعيمي الذي نذر نفسه مع بقية أعضاء لجنة الدفاع عن المعتقلين المختطفين الى غوانتنامو للدفاع عن حقوقهم الإنسانية والمطالبة بإطلاق سراحهم وأتخاذ ما أمكنه إتخاذه من إجراءات أمام المحاكم الأمريكية ولكن لم تفلح هذه الجهود أمام الجنون الفرعوني المعاصر وخلال الفترة من ١٢ الى ٣٠ مارس ٢٠٠٣م قام النائب الجزائري الأستاذ حسن عريبي رئيس اللجنة البرلمانية للدفاع عن المعتقلين في غوانتنامو وعضو لجنة الأمن الوطني في البرلمان الجزائري بعد جهود مضنية بزيارة إلى واشنطن للبحث في موضوع المعتقلين المخطوفين الى الجزيرة وقابل المسؤولين في وزارات الخارجية والدفاع وفي الكونجرس الأمريكي وأستطاع أن يتأكد من وجود ٦٧٠ أغلبهم من بلاد الحرمين الشريفين ثم من أرض الكنانة ثم العرب الآخرين ثم الأفغان ثم الباكستان وروى الأستاذ حسن غريبي[٢] أن الأمريكيين لم يصلوا الى أي نتيجة في التحقيق مع أي واحد منهم وأن بعض المسؤولين الأمريكيين الرسميين الذين قابلهم لم يتمكنوا من وصف الحالة والمعاملة التي يلقاها هؤلاء وأن مسؤول

---

(١) في ٢٧ يوليو ١٩٧٣ م كتبت مقالاً أطالب فيه برحيل القوات الأستعمارية الأمريكية من جزيرة جوانتنامو وإعادتها للشعب الكوبي.

(٢) روى للدكتور محمد سعيد العواء في بيت الأستاذ الفاضل د. توفيق الشاوي شفاه الله ونشرها في العدد (٣٢٣) صحيفة الأسبوع ١١ ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق ١٢ مايو ٢٠٠٣م.

أمريكي طلب عدم ذكر إسمه أخبره أن الحياة التي يعيشونها لا ترقى إلى مستوى الحيوانات في المدن والبيوت الأمريكية.

وقال المسؤول الأمريكي أنهم مقيدون بالسلاسل الطويلة الثقيلة في أيديهم وأرجلهم طوال النهار والليل ينامون مقيدين ويستيقظون مقيدين ويتحركون لقضاء الحاجة والمشي وهم مقيدون وإن الطعام الذي يقدم اليهم يكفي بالكاد لحفظ حياتهم ولولا عناية الله لكان معظمهم قد هلك في هذه الجزيرة المنعزلة أي السجن الكئيب وقد قضى بعضهم نحبه.

ولأمر ما أقتنع الأمريكيون أنه لا فائدة من بقاء عدد منهم فأفرجوا عن ١٨ معتقلاً بينهم ٨ جزائريين و١٠ أفغان وسمع منهم الأستاذ حسن عريبي ما يشيب له الولدان من الهول الذي ذاقوه منذ اختطافهم في أواخر ٢٠٠١م إلى مارس٢٠٠٣م ولكنه سمع منهم حديثاً عجباً!! قالوا له: إن معنويات جميع الأسرى لم تكن أبداً سيئة بل كانوا يشعرون برحمة الله ترعاهم دائماً وقالوا شعرنا منذ اليوم الاول إننا مكلفون بمهمة رائعة بالدعوة الى الله ونحن نشعر بالعزة والفخر لأن الله اختارنا لها منذ أن قال: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ نشعر بالعزة والفخر لأننا أول من رفع الآذان على أرض جزيرة جوانتنامو منذ أن خلقها الله إلى يوم وصولنا إليها ونحن أول من أقام الصلاة وطهر جبهته بالسجود على ترابها لله تعالى ونحن أول من صلى فيها جماعة وأول من أقام فيها جمعة وخطبة جمعة وصلاة جمعة ونحن أول من صلى فيها على النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

هذا العجيب.. والأعجب عندما بدأ السجانون والمحققون الأمريكيون من الضباط والجنود يسألوننا عن هذه الحركات التي نأتي بها وهذا النداء الذي نرفعه

وهذه التمتمات أي التسبيح الذي نقوله بعد الصلاة وفي وكل وقت وماذا نقول إذا كبرنا؟ وماذا نقول إذا سجدنا أو رفعنا أو جلسنا وإذا فرغنا؟ وبدأ بعضهم ينتحي جانباً بمن يأنس له من المعتقلين ويسأله كيف يصبح مسلماً ولا يكادوا يصدقون حين يخبرون ببساطة الأمر وسهولته ويسره ودخل واحداً ثم واحداً ثم لحقه آخر وتبع رابع وأعقبه دخول اثنين ثم ثلاثة ثم أربعة أعداد متزايده يدخلون في دين الله أفواجا على أيدي المسجونين وأصبح المسجون أمام سجانه هو معلمه ومرشده ومفتيه ولا يزال يحدث هذا مع كل دفعة جديدة من فرق الحراسة والتحقيق التي تتغير بين فترة وأخرى فمنهم من يكتم ومنهم من يشهر إسلامه وإذا طلب إتخاذ إجراء ضد أي واحد يعتنق الاسلام يقول لهم بروح إيمانية عالية «والله لو اختطفتموني واعتقلتموني مثل إخواني هؤلاء في غوانتنامو فلن أتخلى عن دين الله الحق» «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً» فألقى السجانين والمحققين والأطباء والممرضين والطباخين والمنظفين من الضباط والجنود الأمريكيين ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب الأسرى المختطفين والمعتقلين المسلمين رب المجاهدين، وعندما هددوا من قبل فرعون المعاصر مثل تهديدات فرعون الغابر بأنهم سيعتبرون إرهابيين ومتطرفين وأصوليين وصاح بهم رامسفيلد وملائه ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ، قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ، إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٤٩: ٥١).

نعم والحمد لله «أُلقى السجَّانون والمحققون والأطباء والممرضون والطباخون والمنظفون من الضباط والجنود الأمريكيين سجداً» ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى، إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى، وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾ (طه: ٧٢: ٧٦) صدق الله العظيم.

وبشرنا النبي ﷺ وهو الصادق الأمين لا ينطق عن الهوى أن الغلبة في النهاية هي للإسلام والمسلمين وسيقاتل الكون كله معهم الشجر والحجر والملائكة وإن ظلمهم سيزول بإذن الله ولو لم يبق من الدنيا إلا يوماً لبعث الله من أهل بيتي رجلاً يملأ الدنيا عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وهو قول حق ويعرف اليهود أيضاً هذا حق المعرفة رغم الإفتراء والإنكار والجحود والتضليل يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ويكتمون الحق وهم يعلمون ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ وأمامنا ترجمة ما قالته صحيفة هاآرتس اليهودية عقب دخول القوات الغازية وسط بغداد هاآرتس: «أمريكا دولة قوية صحيح ولكن ليس على أرض المعركة الحقيقية».

وصحيفة معاريف كتبت بهلع: «ستكون معجزة إذا لم تنهض بغداد لتنتقم للإهانة التي لحقت بها ومن يعتقد أن فجراً طيباً تجاهنا في العراق بانتظاره سيجد في نهاية الطريق خيبة الأمل».

وقد أستيقظت الأمة الإسلامية واستيقظت بغداد بل واستيقظ العراق كله صحيح لم يستيقظ الشعب العراقي إلا بعد أن وقعت ملايين الأطنان من القنابل وأم القنابل على رأسه ولكن عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيراً لكم المهم أن الشعب العراقي استيقظ والحمد لله وخرج يهتف بكل صدق «نعم نعم للإسلام»

«لا سنيه ولاشيعية وحدة وحدة إسلامية» «بالروح بالدم نفديك يا إسلام» «يا شباب يا شباب أمريكا أم الإرهاب» وزاد شراء السلاح وزادت المقاومة.

وقال الجنرال فرانكس «إنها أيام صعبة والأصعب سيكون الأيام القادمة».

وقال رامسفيلد «أنا لا يمكن أن أكون سعيداً إنها مهمة شاقة شاقة شاقة!!».

بعد أن علم أن جنوده يفرون من المعركة ومن العراق ويطلبون من العراقيين إلباسهم ملابس عراقية للفرار مقابل ٢٠٠٠ دولا تزيد وتنقص!! وروت الأنباء قصة الشهيد أبو سمية مروان الفلوجي وغيره من أبطال العراق وأفعالهم الرائعة التي دوخت قوى الاحتلال!! حتى ظهر الغيظ والحنق والهزيمة على جبين وزير الدفاع الأمريكي ورئيس محور الشر العالمي في البنتاجون وكر الشر فبدت البغضاء من أفواههم وهو يصرح «لا. لا. لا أطيق أن أرى العراق أصولياً» «لا يمكن أن نقبل بوجود دولة إسلامية في العراق» وصرخ قائلاً «لن نسمح بأن تختطف الديمقراطية في العراق إلى يد من يحاولون تأسيس نوع آخر من الديكتاتورية»[١].

وصرح كولن باول رئيس الأركان الأمريكي السابق في الحرب على العراق ووزير الخارجية في الحرب الثانية على العراق «أن قيام حكومة إسلامية في العراق ليس في مصلحة الشعب العراقي ونحن نعمل على تقديم البديل الديمقراطي».

وصرح نائب الحاكم العسكري الأمريكي في العراق في مؤتمر صحفي علنا على شاشات الفضائيات «لا أريد أن أرى العراق دولة أصولية إسلامية».

وقال أحد القادة الميدانيين «لقد جئنا إلى هنا لمنع قيام دولة إسلامية وسيكون مروعاً لنا أن نرى العراق وقد تحوّل إلى دولة أصولية».

---

(١) ٢٣ صفر ١٤٢٣هـ الموافق ٢٥ ابريل ٢٠٠٣م.

ونشرت صحيفة نيويورك تايمز «من المؤسف أن نرى الحرية التي اعتقدنا أنا جئنا بها إلى العراق وقد آلت إلى يد أعداء القيّم الأمريكية وهم رجال الدين الإسلامي»!!

وأقض الله مضاجعهم ولم يستطيعوا إعلان كلمة «النصر» حتى الآن ويصرحون علناً في البيت الأبيض والبنتاجون لا نستطيع إعلان النصر!! إنهم يرون آيات الله من حولهم رغم كل هجماتهم العدوانية العنيفة فقبل الحرب الإرهابية العالمية كانت المساجد التي تضم عشرات أصبحت تضم مئات والتي كانت تضم مئات أصبحت تضم آلاف والتي كانت تضم آلاف أصبحت تضم ملايين!!! إمتلأت مساجد العراق ولم تعد تتسع لروادها أكثر بكثير من ذي قبل في مشاهد لا يسع الإنسان العاقل إلا أن يخر ساجداً خاشعاً من خشية الله العظيم الجليل الذي تجلت حكمته أكثر فأكثر لتعلن للعالم قوة الإيمان.. قوة العقيدة.. قوة الحق والحجة الدامغة وقوة الدليل والبرهان.. قوة الفطرة السليمة التي إذا استوت كما أراد لها خالقها ويفرح بها عند الإياب إليه جل وعلا وهي نموذج اكتفي به للتدليل على أن الله متم نوره.

وإن نموذج هذه التوبة الصادقة يؤكد أن هذه الصحوة هي بشائر فجر جديد ونور وهاج سوف يعيد البشرية إلى صوابها بعدما غرقت في التيه والضلال عقوداً طويلة في أعقاب ضعف الخلافة الإسلامية ثم سقوطها في بدايات القرن مما مكن أعداء الله وقد استطاعوا أن يحرزوا تقدماً تكنولوجياً وتطوراً صناعياً كبيراً إلا أنهم فشلوا في الحفاظ على القيم الأخلاقية وعلى الإنسان الذي استخلفه الله في الكون وسخرله كل ما في حياته ولما ضعف المسلمون قاموا دهراً يتخبطون بين الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والقومية وغيرها من الدعوات الأرضية فلم يجنوا من

ورائها إلا الخسران والبوار فأدركوا أن النجاة في العودة إلى دين الله فسخر سبحانه وتعالى لهم جموعاً من الدعاة قاموا بواجب الدعوة إلى الإسلام وبث العزيمة والهمة فيهم.

فبدأ الناس يستجيبون ويعودون إلى دين الله أفواجا وأصبحت جموع المسلمين في المساجد تزداد يوماً بعد يوم وعام بعد عام مؤكدين إن جهود أعداء الله سوف تنقلب عليهم خسراناً وبواراً.

وما هذه الصحوة العامة إلا بشائر لعودة الأمة عودة شاملة إلى الإسلام هذا الدين القويم الذي سيقودها إلى عزها ومجدها وأن المرحلة القادمة هي مرحلة المغالبة والتدافع حتى يحفظ الله الأرض من الفساد ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾..

إن هذه الصحوة المباركة تمثل بداية الطريق.. طريق النصر والتمكين إلى دين الله وتلقى عبئاً كبيراً على الدعاة إلى الله والمخلصين لدينهم حتى يقوموا بتوجيهها وترشيدها أما أعداء الله فلن يعجزوه وهذه الإمكانيات الهائلة التي يسخرونها لمحاربة دين الله وتشويه صوره الإسلام والمسلمين فسوف ترتد عليهم وبالاً وحسرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

أوربا تنتظر الإسلام المنقذ!

أنا الآن أكثر قناعة بأن الإسلام قادم وسيعود إلى هذه الديار مرة أخرى الماضي البعيد يسندنا بأعلامه وفتوحاته والماضي القريب يدعمنا بالمواقف والإنجازات والواقع الحالي برغم الحملة الإرهابية الصليبية الحاقدة التي يقودها اليهود يؤكد أن الإسلام مازال حياً ومازال هو المنقذ لأولئك الذين تجردوا من الإنسانية.

إن زيارة واحدة للندن أو باريس أو روما أو فرنكفورت أو أي ولاية أمريكية وغيرها ستؤكد لك أن الإسلام قادم مهما كان حجم الضعف الذي أصاب العديد من رجاله ومهما كان حجم الفتنة التي أصابت أمته. شوارع لندن وباريس وروما وجنيف ومدريد تتوق اليه شواطيء الريفيرا السين والراين والتايمس وجبال سويسرا وألمانيا ستكتحل برؤيته مرة أخرى.

كل الذين مروا بعدنا أفلسوا الشيوعيون أفلسوا والماديون أفلسوا والجدليون أفلسوا والبراجماتيكون أفلسوا ورواد مذاهب اللذة أفلسوا والديكتاتوريون المفسدون اليوم نشهد بدايات انهيارهم.. كلهم أفلسوا في زحمة الإفلاس الواضحة في كل شبر من أراضي أوروبا الموحدة بما فيها تلك البقعة القريبة من العاصمة الإيطالية روما والمسماة بالفاتيكان تسابق أنصار «المهاريش» و«البانكس» و«الهيبيز» في محاولات محمومة لسد الفراغ الذي صرخ البابا بصوت جهوري «لقد ترك ماركس فراغاً سيملؤه النبي العربي محمد!!» نعم وحده هو الذي يستطيع وحده هو الذي سبق أن قام بالمحاولة ونجح نجاحاً منقطع النظير ستقولون إنها كانت أياماً ومضت وستقولون إنه البكاء على الأطلال وسأقول البكاء ليس من شيمّ الفاتحين المسلمين وإذا كنا اليوم نواجه عنفوان الحملة الإرهابية الصليبية العالمية التي يقودها

ويغذيها اليهود فقد سبق لنا أن فتحنا أجزاء كبيرة من العالم وسوف نفتحها مرة أخرى.. بل وسنصل إلى روما بأذن الله وهم يعلمون ذلك جيداً[١].

«إن وصول الإسلام إلى عواصم وشواطيء وجبال أوروبا ليس بالأمر المستحيل فقد سبق للإسلام ولجنده أن وصلوا إلى تلك المناطق»[٢]

لقد كان تاريخ المسلمين في أوروبا ملحمة كبرى بكل المقاييس أحداثها جسام فتوحات لم يشهد التاريخ لها مثيلاً وحضارة ليس لها نظير عمران شمل كل مناحي الحياة وأهدى للبشرية حضارات تلو حضارات وليس أسس الحضارة القائمة اليوم والتي يباهي بها الغرب علينا إلا منا. ومن عمق التاريخ نتزود للحاضر ونمضي بخطى واثقة بإذن الله نحو المستقبل المشرق الذي تسطع فيه شمس الإسلام على البشرية كلها.

فماذا فعل الأسلاف؟ وصلوا إلى جبل «كالبى» وحفروا عليه إلى الأبد اسم جبل طارق بن زياد واتجهت قوة الفتح إلى الأندلس وينتصر جند الله على القوط ويزحفون شمالاً بقيادة القائد الفذ طارق يتبعه أميره موسى بن نصير حتى تمكنا من دخول طليطلة ثم تفرق الاثنان متوجهين إلى الشمال ليواصل كل منهما فتوحاته فتوجه طارق إلى الشمال الشرقي حتى وصل إلى مدينة «سرقسطة» ومنها واصل الزحف حتى وصل جبال البرانس وهي الحد الطبيعي الذي يفصل بين أسبانيا وبين فرنسا ولم يكتف القائد الفذ طارق بذلك بل واصل مسيرته غربا إلى أن وصل إلى مدينة «شتوتجارت» حيث ألتقى أميره موسى بن نصير ليتوجه الاثنان لفتح شمال وغرب الأندلس ثم يستدعيان إلى دمشق ليتولى الفتى الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير مهمة الفتوحات فيستكمل فتح الأندلس خلال عامين من توليه الأمانة ولم

---

(١) انطباعات الأخ الحبيب شريف قنديل عند رحلته الى أوروبا في الثمانينات. ونشرها في صحيفة المسلمون في ذلك الوقت!.

(٢) هذا ما قاله الباحث د. محمد فريد السيال الأستاذ بإحدى الجامعات البريطانية للأخ شريف قنديل.

يقف المسلمون عند هذا الحد وإنما واصلوا فتوحاتهم حيث تم فتح بلاد الغال وهي ما نسميه الآن بفرنسا فقد توغل المسلمون في فرنسا حتى وصلوا إلى نهر السين وأصبحوا على بعد ٧٠ كيلو متراً من «باريس» بقيادة القائد المسلم «أبو موسى بن سحيم الملقب بعنبسة» ومعه أبو مسلم الخولاني ثم فتح المسلمون مناطق كثيرة في جنوب فرنسا وفي نهاية القرن الثالث الهجري واصل غزاة البحر من المسلمين فتوحاتهم حتى وصلوا في أوائل القرن الرابع الهجري إلى سفوح جبال الألب في شمال إيطاليا بل إنهم ملكوا الممرات التي تؤدي مباشرة إلى روما وفي سنة ٣٢٨ هـ وصلوا إلى قلب سويسرا الحالية واستمروا في هذه المناطق ما يقرب من ثمانين عاماً.

لم يكن جهاد المسلمين متوقفاً على امتلاك الأرض فقد كان هدفهم الأسمى امتلاك العقل والقلب وغرس الإسلام وإعلاء كلمة الله.

كانت هذه هي ملحمة الفتوحات الإسلامية في الغرب وفي الشرق كانت هنالك قوة الدولة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية التي ظهرت في القرن السابع الهجري وتمكنت خلال مائتي عام أن تمد سلطان الإسلام إلى شرق أوروبا وحيث تمكن الفاتح سليمان من الوصول إلى مشارف «فيينا» ثم إلى «يوغسلافيا» وتستمر موجات الفتح الإسلامي في أوروبا وفي القرن التاسع الهجري (القرن الـ ١٥ م) اتسع سلطان الإسلام وأسلمت على يد الفاتح محمد البوسنة والهرسك وألبانيا وبلغاريا ورومانيا والمجر وتشيكوسلافاكيا وغيرها.

ومن المؤكد إذا عملت الأمة على محو أسباب انهيارها الداخلي وضعفها العام فأنها يقينا ستعيد سيرة الجيل الأول من الأسلاف هؤلاء الذين خاضوا البحار وتوغلوا في الجبال حتى تمكنوا من أوروبا كلها والأمر الأكثر تأكيداً هو أن هذه البحار والجبال والعواصم تتوق تماما إلى الإسلام الذي كان ولازال وسيظل هو المنقذ.

الآذان يرتفع في فضاء غرناطة بعد غياب ٥ قرون

وارتفع الآذان بمدينة غرناطة في الأندلس جنوب أسبانيا يوم الخميس ١٠ جماد الاولى ١٤٢٤هـ الموافق ١٠ يوليو ٢٠٠٣م بعد توقف دام خمسة قرون منذ سقوط الخلافة الاسلامية هناك عام ١٤٩٢م وافتتح المسجد الرائع بنفس النمط الذي كانت عليه المساجد في ظل الخلافة الإسلامية فهو يحمل طراز مسجد «قرطبة» التاريخي الذي حولوه الى كنيسة وسيعود مسجداً كما كان بإذن الله ويحمل أيضاً بعض ملامح المسجد الأقصى بعد أن ظل مشروع المسجد يراوح مكانه منذ ٢٢ سنة بسبب رفض المسؤولين المحليين وقد تم شراء الموقع قبل أكثر من ٢٠ سنة عندما علم المجلس البلدي بإعتزام المسلمين بناء مسجد عليه أعلن تحويله لاغراض سكنية فقط ومنع استخدامه لغرض ديني أو عام لكن بعد معركة قانونية إستمرت تسع سنوات ربح المسلمون القضية وسمح لهم بإنشاء المسجد ومرافقه والمعهد العلمي لتحفيظ القرآن الكريم.

أنه قدر الله جل جلاله!!!

إن العالم كله يسير باتجاه الإسلام.. بقدرٍ من الله..

إنها مشاعر قدرية فطرية متواصلة يسّرها الله عز وجل ويسخر لها من يشاء وما يشاء سبحانه وتعالى عبر أرجاء الكره الأرضية.. بل والكون كله.. ما نرى وما لا نرى في عالم الغيب والشهادة قال الله: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ، وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ (الحاقة: ٣٨، ٣٩).

وفي هذه اللحظات من هذا الفصل نقف خاشعين أمام عظمة الله وقدرته التي لا حدود لها، ونخر ساجدين مسبحين حامدين له جل وعلا وهو يرينا آياته في أنفسنا وفي الخلق كله.. ويرينا بعض هذه المشاعر الفطرية والمظاهر والظواهر والإشارات العجيبة الدالة على التقدم نحو الإسلام خاصة أن بعضها تظهر لأول مره سواء في «الأشخاص» أو «البلدان» ولم يكن يتصور البعض أن يصل الإسلام إلى هذا القلب، أو إلى تلك البلد وفي مثل هذه الظروف وفي هذا الزمن وبعد هذه المحن وبعد مرور كل هذه القرون.

وتلك آية بينه لكل ذي عينين وأذنين ولسانٍ وشفتين.. وتلك معجزة عجيبة تعطي الدلالة الكبرى على حيوية دين الإسلام كما أراد الله له فأنزله وحفظه فقال عز من قائل كريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ إنها معجزة حقاً.

العودة إلى الهوية.. والى الموقع على الخارطة !!

فمن المظاهر الملفتة للنظر في إطار الصحوة الإسلامية والعودة إلى الله والتقدم نحو الإسلام وتزائد أعداد المنجذبين إليه والتدفق إلى دين الله نرى في أقصر مدة ممكنة وبعد أحداث ١١ سبتمبر على وجه الخصوص نرى كيف جرى الإعلان الملايين عن حب الإسلام في أمريكا كما رأينا ذلك أثناء وعقب انتصار الجهاد الإسلامي المبارك وأثاره على عموم روسيا الإتحادية وآسيا الوسطى بعد هزيمة الجيش الأحمر على يد المجاهدين في أفغانستان وإعلانهم أن الإسلام هو سلاحهم الأمضى الذي لن يتركوه هذه المرة أبداً بإذن الله وهذه من أعظم آيات الله في العصر الحديث وأعجب العبر والدروس للبشرية لتتعظ وهي ترى أن واحدة من أعتى الدول العظمى مارست كل أشكال القهر والديكتاتورية وصنوف التعذيب والأسر والحجر على الآراء ومعاداة دين الله فلم تلبث في أقل من ٧٠ عاماً حتى انهارت كل أساساتها التي أدعت فيها الألوهية وقد أفردنا لها جزءاً منفصلاً من فصلين في هذه السلسلة من كتابنا هذا تمت طباعته والحمد لله في مجلد كامل[١].

ومن أعجب الآيات العظيمة ذلك التدفق المليوني إلى بيوت الله في البلدان الإسلامية ذاتها كتعبير فطري عن تلك المشاعر المولودة مع الإنسان المسلم مثل مصر والجزائر التي خرجت عن بكرة أبيها تعلن ولائها لله ولرسوله وللمؤمنين بعد أكثر من ٣٠٠ سنة من غياب تحكيم الشريعة الإسلامية فيها وجسدت ذلك بمظاهر سلمية متعددة وكذلك تركيا التي رزحت أكثر من ٧٠ عاماً ولازالت تحت نير الحكم العسكري الديكتاتوري والعلماني المعادي للإسلام خرجت

(١) تم طبع المجلد المعجزة المتجددة في دار الأندلس الخضراء بالسعودية.

الملايين المسلمة التي تفوق ٦٠مليوناً تعبرّ عن رغبتها الدفينة الأكيده في العودة إلى الإسلام وتطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ... وفي باكستان ونيجيريا، وكم هي المظاهر الشعبية المعبرة عن ذلك ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقد فصلنا ذلك في كتبنا المختلفة الأخرى واقتضى المقام هنا الأشاره إلى ذلك تأكيداً ومدخلاً لما نحن بصدده.

لقد استعادت الكثير من الشعوب المسلمة هويتها وأعلنت تميزها بدينها الإسلامي في أوروبا وبلاد الأندلس وجبل طارق عموماً بل والبرازيل والأرجنتين وأعماق أفريقيا إلى «ساراواك» التي تقع في الثلث الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو القابعة في بحر الصين الجنوبي إلى الشرق من جزيرة الملايو إلى أقصى ضواحي اليابان.. إلى جنوب أفريقيا إلى داخل القارة الأسترالية التي زاد عدد المسلمين في بعض ولاياتها من ١٥٠ ألف عام ١٩٩١م إلى ٢٠٠ ألف مسلم ١٩٩٦م وأرتفعت المآذن فيها.. إلى جزر الباسفيك ومنها جزيرة «بابنجني» ذات التضاريس الصعبة والتي يتحدث أهلها بـ٧٠٠ لهجة ومع ذلك وصل الإسلام إلى أسماع وقلوب أهلها. وأصبح العالم يسمع بل والعالم الإسلامي يسمع عن «أسماء جديده لبلدان إسلاميه البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان والسنجق واتشيه وغيرها» كانت على الخارطة وتوهم أعداء الإسلام أنهم قد تمكنوا من محو هويتها وإطفاء نور الله وإذا بها تعود بأمر الله وسننه مرة أخرى لتثبت دائماً ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ لقد قامت هذه البلدان على ماض لا يلغى وعقيدة لا تموت وشعب لا يفنى، قد تقّيد إرادته حيناً من الزمن ثم تتحرر وإن أرتباط شعوبها بالهوية الإسلامية أرتباط مشهود في السلام والكلام والعادات والتقاليد والأخلاق كما أنه قائم في المآذن والمساجد والمنازل والأسواق، وصحيح

أن ما شهدته بلدان إسلامية متعددة من محاولات الإلغاء من الخريطة أو إلغاء الهوية والعقيدة ولكن لا ريب فيما تجسد أمامنا اليوم أن الأفغان والشيشان وداغستان وتتاريا وبشكيريا والبوسنة والهرسك وتركيا وطاجيكستان وأوزباكستان وأذربيجان وغيرها جميع هذه المناطق شهدت استبداداً أعظم وجهوداً أضخم ومحاولات لمحو هوية تلك البلدان وأهلها من الوجود بل ولإبادتهم أصلاً وجميع ذلك لم يستمر سبعين سنة فقط بل عدة قرون ثم لا يكاد المسلم يستعيد شيئاً من حريته هناك إلا ويبدأ على الفور بالبحث عن القرآن الكريم ليقرأه ومال يبني به مسجداً وأستاذ يعلمه دينه ودار لتربية أبنائه على الإسلام.. إنها معجزة حقاً ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

openkandl.com